A D A L I S
رواية
آدليس 2
عمر عوده

آدَليس (2)

لتحويلك إلى الجروب أضغط هنا

لتحويلك إلى الموقع أضغط هنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

الكتاب: آدليس 2/ رواية

المؤلف: عمر عودة

تصميم الغلاف: إسلام مجاهد

تدقيق لغوي: عاشور عطا

رقم الإيداع: 2018/23983

الترقيم الدولي: 978-977-778-156-5

للنشر والتوزيع

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة

ت: 338560372-02

info@noonpublishing.net

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

عمر عودة

آدَليس(2)

رواية

إهداء

إهداء إلى الغائب الحاضر، العراب د/أحمد خالد توفيق

أستاذي، رحمة الله عليك، فحقا، أنت جعلت الشباب يقرأون ويكتبون!!!

تحذير

برجاء عدم تجربة أي شيء بداخل تلك الرواية من باب التجربة أو الفضول؛ فربما يحدث ما لا تحمد عقباه، وهذا تحذير وإخلاء مسئولية...

مقدمة

حان الوقت للبوح ، فعقلك ذو الحجم الزيتوني وأفُقك الضيق يستحق أن يعرف ، وربما ليس هذا السبب الوحيد لأتخذ قرار البوّح الذي ستعرف فيما بعد أنه لم يكن بالسهولة التي تتخيلها..

أعلم أتم العلم أنك كبشري فانٍ لن تستطيع معي صبراً كما لم يستطع موسى مع الخضر، ومن هنا، وضعتُ شرطي الوحيد؛ لتسبح في بحر معرفتي وتملأ منه دلو فكرك الضئيل علّه ينمو، شرطي هو ألّا تسألني عن شيء حتى أُحْدِثَ لك منه ذكراً ، وهو أيضا نفس شرط الخضر لِيُعَلِّمَ موسى..!

من أنا..؟!

ألم أخبرك للتو بشرطي؟، وأخبرتك أيضا أنك لن تستطيع معي صبرا ، للمرة الثانية أنا أمقت الأسئلة ، فرجاءاً لا تصدع رأسي بأسئلتك ودعني أخبرك كل شيء في حينه..!

لماذا الآن..؟!

ألم أخبرك منذ لحظات ألا تسأل ، فقط أصمت وستعرف كل ما تريد معرفته وأكثر ، فمني أنا سأصل بحجم معرفتك إلى عنان السماء وسأرسي بسفن فكرك على مواني‌ء لم تكن لتتخيل وجودها..!

لماذا أكتب.؟!

رغم أني أخبرتك مراراً وتكراراً أن تتخلى عن تلك العادة البشرية السخيفة في استباق الأمور وكثرة الأسئلة إلا أنني سأجيب على هذا السؤال؛ إشباعا لبعض فضولك، ولا تتوقع مني هذا مرة أخرى..

حقيقةً لا أعرف لماذا سأكتب لك، هل حقا أريد ان أعطيك من بحر معرفتي الذي لو جئتَ بمحيطاتكم أجمعين مداداً لتدوينها لن تكفي، ولو جئتَ بمثلها مدداً، أم على سبيل تزجية الوقت، أم شعوري الذي لم أستطع أن أتخلص منه، وهو شعور انتمائي إليكم..

أعرف السؤال الذي يجول في خاطرك الآن، وأعرف أنك تخشى أن تفصح عنه، كي لا تثير حنقي، فأنا أعرف ما تفكر فيه جيداً..

من أنا .؟! ، أنا شيراز ، تذكر هذا الاسم جيداً، حتى يحين الوقت الذي أجده مناسباً لأقص عليك قصتي، ولحينها سأخبرك شيئاً أخر ..

سأحدثك عن معاناتي، لتقرأ تلك الكلمات الآن وأنت مستلقٍ على ظهرك، أو جالسا تحتسي مشروباً ما، وتنتظر مني حكاية مسلية، وإلا ستسب وتلعن الكاتب، وتلقي بالكتيب في أقرب صندوق قمامة..

ناهيك عن ثقتي العمياء بأن كل حكاياتي ستروق لك، وربما تخرج عيناك من محجريهما من فرط المفاجأة، وينقبض قلبك بين ضلوعك من شدة الرعب، ولن تنام قرير العين إلا حين تتأكد أن أنوار الشقة كلها مفتوحة؛ حين تعرف أن الكثير من عشيرتي وقبائلي حولك الآن، ينظرون إليك مستمتعين بخوفك، أو يسخرون من استهزائك بالأمر برمته، منتظرين اللحظة المناسبة؛

ليثبتوا لك أن استهزائك لم يكن في محله، وعدم تصديقك لن يضر أحداً غيرك، ستندم وقتها حيث لا يجدي الندم..

ولكن، تُحتم علي الأمانة إخبارك أن الكاتب ليس له فضل إن راق لك ما ستقرأه، وليس له ذنب إن لم تعجبك حكاياتي، فهو ليس إلا قلم لي يكتب ما أريد_ وهو يظن أنه يكتب ما يريد..

فللكاتب صفة جعلتني أختاره دوناً عن غيره، ألا وهي أنه لا يقرأ ما يكتب، ولم أجد لهذا تفسيراً، حتى حينما ترجلت في تلافيف عقله الباطن، وطرقت جميع ابواب عقله، لم أجد سبب لفعلته الحمقاء تلك _ والتي عادت بالنفع علي الآن ، فالكاتب مثلكم، بشري ضيق الأفق، لن يصدق ما يحدث، وربما أراد التجويد على ما أكتب؛ فيفسد الأمر برمته، أنا أكتب به ما أريدكم أن تقرأوه وتعرفوه، وهو يظن أنه يكتب واحدة من ملاحمه الحمقاء عن لوسيفر أو أبراكساس، وربما تطرق للحديث عن أحد اساطير جدته، كالنداهة وما إلى تلك الترهات، وحين يذهب إلى المطبخ يلتهم ما يجده في

الثلاجة، ثم يحتضن كرشه المتدلي ويخلد إلى النوم، ليستكمل في اليوم التالي رواية لن تخرج إلى النور، ولن يعرف أنها لن تخرج إلى النور ..

يضحكني تخيل دهشته حين يناقشه واحد من قرائه عن أحد أعداد تلك السلسلة، ولا يجد إجابة، ويقتلني ضحكاً حين يناقش هو أحدهم عن الرواية (التي لم تكن موجودة سوى في خياله) ولا يجد ردًا ..

ربما يصاب بالجنون، وربما يعرف الحقيقة في وقت ما، ولكن حينها أكون قد انتهيت من تلك السلسلة وسلمتُها للدار المعنية بنشرها مُستخدمةً جسده، فلن يضر بشئ معرفته للحقيقة حينها، وهناك احتمال أقرب، وهو أن يسير في درب الغرور ويصدق نفسه، ويظن الظنون في عقول قراءه، وهو الاحتمال الأقرب بحسب معرفتي بشخصية الكاتب النرجسية..

عامةً، ليس هذا المكان المناسب لنتحدث عن الكاتب، ولا هو الشخص الذي يستحق أن نتحدث عنه كل هذا الحديث؛ فما هو إلا بشري محدود الفكر، فانٍ؛ إذا

قارنت عمره الضئيل بعمري وأعمار عشيرتي، لذلك لن أعطيه أكثر من حجمه، وسأحكي لك أولاً حكايتي تفصيلاً ثم أقص عليك أولى قصص هذه السلسلة وهي «لعبة».

* * *

آدليس

في البداية، إن كنت لا تعرف آدليس، فآدليس هي فصيلتي، آدليس هي مملكتي، آدليس هي كنايتي، آدليس هي حكايتي...!

إن كنت تعرف الحكاية فالتزم الصمت، وانتظر حتى يأتي ما لا تعرفه، وإن كنت لا تعرفها فسأخبرك بما يجب لمثلك أن يعرفه فقط...

اسمي شيراز .. شيراز قارون، لأم من بني آدم تدعى «نور» وأب من بني إبليس يدعى «قارون»، فأنا نصف بشرية، ونصفي الآخر من الجن، لذلك أُطلِقَ علي وعلى أمثالي «آدليس»، النصف الأول من آدم والنصف الآخر من إبليس.. لوجودي في عالم الجن حكاية طويلة، سأحاول أن أختصرها لك، الملوك في عالم الجن _ الذي سأكشف لك دهاليزه في الصفحات القادمة وأفُتّح عقلك البشري ضيق الأفق على أشياء لم يكن ليتخيلها أو يتصور وجودها من دوني _ لابد وأن يكونوا من نسل آدليس لتطور ذكائهم؛ فعلى الرغم من قصور

عقلكم البشري، إلا أنه حين يندمج مع عقلنا يولد عقلٌ ليس له مثيل في العالمين..!

لقد كنت أعيش في عالمكم الفاني وأنا أعرف أني لستُ منه، _ شعوراً وليس يقيناً _ حتى قابلت أخي، «ليكا قارون»، _ وهو من أم وأب من الجن _ الذي كشف الستار عن حياتي، وأدخلني في الكواليس لأكتشف ماهيتي وأتأكد منها، وهو (والحق يقال) ساعدني في إتمام أطواري لأتخلى عن بشريتي وأعود لعالم الجن، فلكي يعود الآدليس لعالم الجن لابد له أن يتم أطوار، ولكي يتجسد الجن للبشر ويتمثل بهيأتهم، لابد أيضا أن يتم أطوار، وإن تجسد دون الأطوار يفقد كل قواه، فيصبح فريسة سهلة في أيديكم انتم البشر، وإن نجا، حتما لن ينجو من عقاب عالم الجن له، فالسجن في الحياة أقل عقوبة للتجسد دون أطوار، والحرق هو العقوبة الثانية، لن أصدع رأسك بقوانين عالمي التي لن تفيدك في شيء وسأستطرد حكايتي..

بعد أن ساعدني «ليكا» في إتمام أطواري، وكدنا نهم بترك عالمكم المريع، قرر فجأة أن يتراجع ويسير وراء

قلبه الذي وقع في حب واحدة من نسلكم، مما خالف شرعنا، وقبل أن يغدر بي ويقتلني حرقته «الأم مارسا» وأرسلت «دهّار» لينقذني من براثنه ويأتي بي لعالمي الأثير، مملكة آدليس..

من وقتها و «دهّار» يشعر بشكل ما أنه مسئولٌ عني، وأني مسئولة منه، شعور سخيف أن يكون فيه صفات الذكور من البشر، من حيث اللزوجة والسماجة وثقل الظل، فهو يقوم بأفعال صبيانية بشكل أبله، ظناً منه أنه يقوم بلفت نظري إليه، وما تزيدني أفعاله إلا نفوراً منه..!

نتحدث هنا باللغة السريانية، وهي اللغة الموحدة لجميع شعوب الجن، بجانب لغات أخرى، ولكني سأتحدث معك بالعربية؛ لكي تفهم؛ فعقلك القاصر لن يُجيد تلك اللغة الروحانية ما حيا..

لقد اكتشفت فور ولوجي لهذا العالم أن عالمكم هذا ضئيل بحق، فأنتم على الرغم مما تدّعون من ذكاء وتطور، لا تستغلون سوى جزء من يابسة الارض التي

تمثل بمجملها 27% من مساحة سطح هذا الكوكب، وهذا الجزء لا يتعدى ربع تلك المساحة، والجزء الباقي من اليابسة هو بالنسبة لكم أرضٌ قاحلة مهجورة، أي أنكم _كبشر_ لا تستغلون أكثر من 10% من مساحة هذا الكوكب والباقي ملك لنا، حيث يعيش الجن والآدليس على سطح البحار وفي أعماقها وفي الاراضي القاحلة، غير الذين يعيشون معكم في البيوت من عمار البيوت وشياطين تسكن المراحيض، وهناك بعض عشائر الجن تسكن طبقات من الأرض ..

لقد تعجبتُ فور دخولي هذا العالم من هيئة الجن؛ فقد تخيلتهم مريعي الهيئة، مقززي الملامح مرعبي الشكل، ولكن خاب ظني فور أن دخلت عالمهم الذي أصبح الآن عالمي، فهم يشبهون البشر بشكل كبير، نفس التركيب الجسماني تقريباً، إلا أن رؤوسهم أكبر قليلاً من رؤوس البشر، وأعينهم طولية وليست مستعرضة كأعين البشر- وبعضهم له أعين طولية مائلة كأعين اليابانيين- وملونة كأعين البشر، منها الأسود والأزرق والبني والأخضر إلا أنه يميز عيونهم أنها تومض

بإشعاعات تميل إلى اللون الأحمر، وهذا يضفي عليها روعة لا رعباً، وعلى أعلى جباههم يوجد قرنان صغيران، بالكاد تراهم بالعين المجردة، وآذانهم مدببة، أشبه بآذان الخيل، وموضعها في رؤوسهم نفس موضع آذان البشر وأيديهم أطول من الأيدي البشرية قليلاً فهي تتعدى ركبهم إذا فردوها للأسفل، وكذلك أصابعهم وأظافرهم أطول من مثيلاتها عند البشر، أما أنوفهم فهي في منتصف رؤوسهم، تماماً كأنوفكم معشر الأنس، إلا أنها تميل للتكور كبعض أنوف الفلبينيين، غير ذلك فهم يشبهونكم في باقي الأشياء، الإناث منهم شعرهن طويل وكثيف، أما الذكور فأغلبهم يتميزون بالصلع، ولون البشرة السائد هنا هو الأسود..

يرتدون ملابس تماما مثلكم، وكل قبيلة وعشيرة لها ملابس مميزة لها، من الحرير والصوف، تأخذ طباعهم في الاستتارة بمجرد أن يرتدوها، ونعالهم مصنوعة من البردي، ويرتدونها في قدمهم اليسرى فقط..

هذا عن هيئتهم، أما عالمنا فهو بأكمله تحت إمرة إبليس، الذي لم أره ولا مرة حتى الأن، ولكن وصفته

لي الأم «مارسا» ذات يوم بأنه كباقي معشر الجن يترواح طوله بين ال 170 وال180 سم، ولديه قرنان طويلان، وذيل قصير طوله في حدود الاربعة سم، ويمكنه التشكل كيفما يريد، ولديه قصر يدير منه شئون ممالك الجن في كل برزخ ماء، ففي كل مكانٍ يلتقي فيه ماءان يكون هناك قصر لإبليس، يذهب إليه كل أبٍ يُرزق بمولود؛ ليمسح إبليس بيده عليه لينال بركته المزعومة، وتحت إمرته خمس نواب لا يختلفون عنه، هم «ثبر» و«داسم» و«الأعور» و«مسوط» و«زلنبور»، غير العدد المهول من الوزراء ورجال الحكومة، ومن بعد إمرة «إبليس» يوجد ملك ملوك الجن السيد «طحيطمغيليال» العظيم، وله نائب واحد وهو السيد «ميططرون»، ومن بعده ينقسم حكم العالم بين سبع ملوك يُسمون بالملوك السبعة وهم:

الأول ملك العمار «أبا طارش»، والثاني ملك القرناء والتوابع «أبا دياج» والثالث صاحب النيافة قاضي قضاة الجن وحاكم مملكة «اوركينو»، التي بلغتكم العربية تعني «أرض العدل»، والتي تتم فيها محاكمة

كل من يخرج عن نظام الجن «شمهورش»، والرابعة «كيثا كبرثا» (الأم مارسا) وهو لقبها الذي يعني بلغتكم «المختارة الجبارة»، وهي بمثابة أمي في هذا العالم، وهي المسئولة عن المكلفين من الجن، وسأحدثك عن رعيّة هؤلاء الأمراء باستفاضة حين أشعر أني أريد هذا..!، الملك الخامس هو الملك « ناصور « ملك مملكة المردة، وهو من أقوى الملوك في عالم الجن بعد إبليس ونائبه، أما الملك السادس فهو «ساروخ»، ويُقال أنه ابن إبليس الأكبر، وهو حاكم الشياطين، والملك السابع والأخير هو الملك «ظام»، وهو ملك مملكة العفاريت، وهي أقوى ممالك الجن على الإطلاق، وهناك مملكة منفصلة قائمة في حد ذاتها كمملكة آدليس، تسمى «مملكة سيرينت»، ولكن الفارق بين مملكتنا آدليس ومملكة سيرينت أن آدليس ليس لها حاكم، وإنما مستقلة في حد ذاتها، ولا يسكنها سوى الآدليس، بينما مملكة سيرينت يحكمها سيرينت، ولسيرينت حكاية حكتها لي الأم مارسا، ستعرفها فيما بعد، وتلك المملكة كل من بها حيات وكلاب سوداء.

يكفي ما عرفتَه هذه المرة عن عالمي ولنا في الحديث بقية، دعنا الآن نتحدث عما نحن بصدد الحديث عنه، حكاية اليوم التي سأحكيها لكم هي حكاية لعبة ..

تسألني وما هو المرعب في لعبة؟، وأجيبك أني أكره الاسئلة، ولكن عطفاً عليك سأعطيك فكرة عن خطورة بعض الألعاب في عالمك، وتكرماً سأتقبل اسئلتك في نهاية الحكاية..

ففي الأيام القليلة الماضية ضجّ العالم بخبر انتحار طفلين في الجزائر بعد أيام من الإقبال على لعبة تدعى «الحوت الأزرق»، قبل هذه الحادثة في الجزائر، تسببت هذه اللعبة كذلك بانتحار الطفلة أنجلينا دافيدوفا، 12 عاماً، من الطابق الرابع عشر بروسيا، والطفلة فيلينا بيفن، 15 عاماً، التي قفزت من الطابق الثالث عشر من منزلها في أوكرانيا وتوفيت على الفور، كما توفيت الطفلة خلود سرحان العازمي، 12 عاماً، في السعودية بسبب اللعبة نفسها، وبعدها بفترة وأمام منزل الكاتب وعلى مرأى منه، انتحر جارٌ له بسبب تلك اللعبة، قفزا من الدور السادس..!

وهذا ما دعاني لأقص عليك ما رأيته أنا من عالمي لبعض الألعاب، التي كان للاعبيها نفس المصير أو أسوأ، فكل هذا سببته لعبة الكترونية، وأما لعبة اليوم فليست الكترونية، ولكنها أيضا انتحارية، أعرف أنك تسال الآن، ما علاقة الحوت الازرق بقصة اليوم التي سأحكيها لك الآن؟ خاصةً أن الحوت الأزرق ولعبته اللعينة التي قلبت العالم رأساً على عقب ليس له علاقة بروايتنا سوى تشابه خطورة اللعبة مع العاب اليوم.

فللحيتان الزرقاء عادةً جميلة تماما كألعابنا، وهي الإنتحار..!

نعم كما سمعت «الانتحار» فالحيتان الزرقاء تلقي بنفسها على الشواطئ الضحلة من وقتٍ لآخر قاتلة نفسها في ظاهرة تسمى «انتحار الحيتان» لذلك سميت اللعبة الالكترونية اللعينة بهذا الاسم، وربما كانت لألعابنا طابعٍ أخطر.

أتمنى أن تكون قد فرغت من اسئلتك التي لا طائل منها لنبدأ..

انتظر حتى ينام الجميع، أطفيء أنوار المنزل بأكملها، عدا الغرفة التي تقرأ فيها، وهيا لنرى ما هي حكاية تلك اللعبة، فهي رحلة في بحر مظلم، نوره أكثر ظلمةً منه؛ فنوره «ماري الدموية» وسلة تجلب أرواحاً، وأناس خفيفين كالريشة، متجمدين كلوح ...

لا داعي للكثير من التمهيد الذي أمقته ولندخل في صلب القصة...

Sheraz karon

***

خمسة منا وخمسة منهم

والملل سيد الموقف

سن المراهقة ..

إنه سن التحديات ..

حيث يشعر كل شاب في هذه السن وكأنه رجل يستطيع أن يفتح بيت وحده ..

ومن سمات الرجولة في – نظرهم - ألا يخسروا أو يرفضوا تحدي، مهما كان هذا التحدي..

حتى لو كان هذا التحدي لعبة..

لعبة مع الموت..!

كان «محمد» و«علي» و«وائل» و«مينا» و«إبراهيم» أصدقاء طفولة..

وهناك أخرون ستعرف حكايتهم حين يحين الوقت...

الصفة المشتركة بينهم أنهم جميعاً يمرون بتلك المرحلة من العمر، حيث الزغب على أفواههم، والعناد أهم صفاتهم، وحب المخاطر من أسمى هواياتهم ..

يمكن أن تشكك في أي شيء، إلا رجولتهم ..!

ففي مثل هذه السن، الرجولة خط أحمر ..

والرجولة في نظرهم تتلخص في ألّا يشعر أيٌّ منهم بخوف من أي شيء، مهما كان كنه هذا الشيء، وألا يرفض أيٌّ منهم تحدٍ مهما كانت خطورة هذا التحدي ..

فكيف يمكن لأيٍّ منهم أن يرفض لعبة !!

***

(1)

محمد

في غرفة متوسطة الحجم، زرقاء جدرانها، على الجدران موزعة صور لتشي جيفارا وغاندي وكارل ماركس، وأخرين تتعجب من وجودهم في غرفة شاب لم يتجاوز بعد ربيعه العشرين، وفي أحد الأركان، مكتبة ترى فيها الكثير من المجلدات والكتب المختلفة في شتَّى الثقافات، وتلمح _ بمجرد أن تقع عينيك عليها _ مجلدات البداية والنهاية لابن كثير، وكتاب 200 يوم حول العالم لأنيس منصور، والكثير من أعمال نجيب محفوظ، وكتب تتحدث عن الشيوعية والرأسمالية، تحمل مصطلحات ماركسية صعبة النطق، وفي ركن الغرفة يقبع سرير صغير يغفو عليه «محمد» وبجانب السرير يوجد مكتب عليه جهاز كمبيوتر، وكوب شاي فارغ، وبعض الكتب الدراسية، وبعض الأقلام..

أما «محمد»، فقد كان في سبات عميق، عاري الجذع، إلا من شورت أزرق أعتاد أن ينام به دائما..

«محمد» شاب في الثانوية العامة، يسير في ربيعه الثامن عشر، متوسط الطول، أبيض البشرة، وشعره أسود كالليل وطويل، وله لحية خفيفة تعطيه سن أكبر من سنه، ويرتدي عوينات لضعف نظره، ويتمتع بشخصية قيادية تجعل جميع أفراد شلته ينصاعون لأوامره، يعشق القراءة، واسع المعرفة، غزير الثقافة، يعمل والده في إحدى الشركات بالغردقة، يعود منها أسبوعياً، ووالدته ربة منزل..

فجأة، شعر محمد بضوء (بنور) يحرق حدقتيه، رغم أنه يغلق جفونه، وحرارة الجو تزداد، وقبل أن يخمن أنها والدته - كعادتها - أغلقت المبرد وفتحت النور، وجدها تصرخ فيه:

- « إصحى يا بيه، الساعة بقت تسعة وانت لسا نايم، هتروح المدرسة بعد الضهر ولا إيه إن شاء الله، ناموسيتك كحلي...!»

قفز محمد من على السرير مفزوعاً من صوتها أكثر من فزعه من التأخير، وأمسك هاتفه المحمول ليجدها السادسة والنصف، ووجد ثلاث مكالمات فائتة من ليلة أمس..

- هذه هي أمي، أبداً لن تتغير..!

قالها وذهب إلى خزانة الثياب الجاثمة في أحد أركان الغرفة، وفتحها ليخرج منها منشفة، ودلف إلى الحمام، غسل وجهه، وحين وجد أن النوم لا زال يداعبه وضع رأسه أسفل الصنبور حتى شعر أنه أفاق قليلاً، فأغلق الصنبور وحرك رأسه يمينا ويساراً ليتطاير الماء من رأسه في الأرجاء، كدُبّ قُطبيّ يخرج للتوّ من الماء ، ثم جفف رأسه وعلق المنشفة على مقبض الباب وخرج..

قبل أن يستخرج ملابس دراسته أمسك هاتفه المحمول باحثاً بحرف الألف لتظهر له أسماء عديدة، اختار منها «إبراهيم» وانتظر حتى انتهى الجرس ولم يرد فجرب الاتصال ب «مينا»، فلم يرد هو أيضاً، ثم

بحث عن رقم «علي» فوجده مغلقاً، مما يدل على أنه هو أيضا لا يزال نائماً، فوضع أمَله الأخير في «وائل»، ولم يخيب «وائل» ظنه، فرد بعد الجرس الرابع قائلاً:

- « فيه حد عاقل في الدنيا ديه ياربي يكلم حد الساعة سبعة إلا ربع، انت مُتخلف يابني؟..!»

رد عليه «محمد» :

- « أنا برضه اللي متخلف؟، حضرتك مش واخد بالك اننا ورانا مدرسة؟ وبالمناسبة المدرسة ديه لا بتاعة أبويا ولا بتاعة أبوك علشان نروحها بمزاج أهالينا ووقت ما نحب، وفي الحقيقة مش عايز افاجئك واقولك اننا لازم نكون هناك الساعة سبعة بالدقيقة..!»

فرك «وائل» عينيه وأردف قائلاً:

- « اللّه يخربيت ام ديه مدرسة على يخربيت المدرسين اللي فيها على بيت المدير نفسه والطلاب، اقولك على حاجة... اللّه يخربيتنا احنا يا شيخ علشان أهالينا ميلاقوش فلوس يدفعوها للمدرسة ونام

براحتنا، انا مش فاهم ليه بس ميعملوش مدارس بلّيل..!»

ابتسم «محمد» ورد عليه:

- « من عنيا، هقدملك طلب للوزارة، وطلب لمحسن بيه، وطلب لمدام فاتن في الدور الخامس، علشان يخلوا المدرسة بلّيل بدل الصبح، علشان وائل بيه مبيحبش يصحى بدري، انجز يا ظريف وقولي اجيب معايا لبس خروج ولا اجي بلبس المدرسة »

نظر «وائل» لهاتفه ليرى تاريخ اليوم ثم قال له:

- « لا يا بيه، تعالى بلبس المدرسة، مش هينفع نكت انهاردة علشان حصة مراجعة الكيميا اللي المستر هيراجع فيها المنهج كله، وشلتنا الله اكبر عليها متعرفش حاجة في الكيميا بسبب اننا ضيعنا كل فلوس دروس الكيميا على القهاوي والبلايستيشنات، وبعدين خد هنا مين محسن بيه ده اللي هتقدمله طلب .؟!.!»

تأفف محمد ثم رد عليه :

- « يعني سيبت الوزارة ومدام فاتن اللي في الدور الخامس ومسكت في محسن بيه!!، محسن بيه بتاع رافت الهجان .. اتفضل اقفل وانا هلبس واستناك عالناصية، على الله ننجز بقى ومتلطعنيش ساعة»

- « متقلقش يا اخويا، مسافة السكة»

قالها «وائل» وأنهى المكالمة ..

توجه «محمد» بعدها إلى خزانة الثياب، وأخرج الزيّ الموحد لمدرسته المكون من تي- شيرت أصفر، على صدره لوجو لشمس تفرد أشعتها ومكتوب تحتها «مدرسة الشمس الثانوية الخاصة المشتركة»، وبنطال قماشي زيتي اللون استبدله «محمد» بآخر جينز، ثم قام بتلميع حذائه ووقف بعدها أمام المرآة، فصفف شعره ثم اتجه لخزانة الثياب مرةً أخرى ورفع المفرش الذي تضعه أمه على الأرفف وأخذ قداحة يخبئها في هذا المكان دوماً حتى لا تكتشف والدته أنه يدخن،

وكان يشتري السجائر «فرط» لأنه لم يملك قط الجرأة لدخوله المنزل بعلبة تبغ..

أخذ حقيبته وارتدى عويناته ثم توجه للمطبخ، ومد يده فوق الثلاجة ليجلب كيس بلاستيكي، فتحه وأخرج منه بعض الخبز ثم ربطه مرة أخرى، وفتح الثلاجة، استخرج منها بعض الجبن الرومي والزيتون، وقام بتناول فطوره سريعاً ثم التقط عبوة عصير ليشربها في طريقه وخرج ليجد مصروفه على التلفاز، التقطه وأخذ المفاتيح وهم بالخروج ليلحق بميعاد مدرسته، وقبل أن ينزل قالت له أمه بصوتها العالي المميز:

- « لما ترجع من مدرستك هتلاقي الطفح في التلاجة سخنه واطفحه، ومتنساش البوتجاز مفتوح لتولّع في الشقة، انا رايحة اقعد عند اخوك يومين، علشان مراته خلاص في الشهر التاسع وعلى وش ولادة، ولو عوزت أي حاجة كلمني، هتلاقي مصروفك وفلوس الدروس في درج الكومدينو، ومتعملش تليفونك صامت وانت نايم علشان اعرف اصحيك بدري للمدرسة..!»

سمع تلك الجملة وفرح، فيومان في المنزل وحده ستجعله يشرب السجائر بحرية، ولن يحتاج لأن يصعد إلى سطح البناية ليختلس بعض الأنفاس من سيجارته، يومان لأمه عند زوجة أخيه يمكن ترجمتهم إلى يومان من الحرية، رد عليها وهو يتقافز كالقردة فرحاً بحريته وهو يخرج من الباب:

- « حاضر يا ماما، وهغسل سناني ورجليّ واشرب اللبن قبل ما انام، ومتقلقيش مش هاكل حاجة من الأرض»

وأغلق الباب خلفه قبل أن يسمع أمه وهي تسبه بأقذع الالفاظ.

***

(2)

وائل

(مشتاق لضحكتك يا أجمل ذكرياتي، خديني لجنتك يا أغلى من حياتي، أديني رجعت لك، أديني بين أيديكي، كفاية دموع بقى مش عارف أشوف عنيكي....

كانت تلك نغمة رنين هاتف «وائل» (المحمول)، الذي عاد إلى نومه مرة أخرى بمجرد أن أنهى المكالمة مع «محمد»، فأمسك الهاتف ورد، وكان المتصل «محمد» الذي قال له صارخاً :

- « عدا أكتر من ربع ساعة وانا مستني معاليك في الشارع، انت فين يا كلب البحر انت.؟!»

منع «وائل» نفسه قسراً من التثاؤب ورد عليه:

- « ياعم دقيقة وهكون قدامك انا خلاص خلصت لبس، هربط رباط الجزمة واكون قدامك اهو ..!»

فرد عليه «محمد» ضاغطاً على أعصابه:

- «واااائل...!»

قال له «وائل» :

- « احم أأأأأ في الحقيقة انا لسا بلبس هدومي...

وقبل أن يستكمل قاطعه «محمد» مزمجراً:

- «واااائل..»

ابتسم «وائل» خجلاً وقال:

- « احم احم، في الواقع انا لسا في الحمام، بس مش عايزك تقلق، دقيقة بالضبط هتلاقيني غسلت وشي ونطيت في هدومي ونزلتلك..

رفع «محمد» من نبرة صوته هذه المرة وأردف:

- « واااااااائل..»

قال «وائل» مستسلماً:

- « بصراحة انا لسا صاحي دلوقتي على نغمة تليفونك، غلبني النوم يا عم، وانت عارف النوم سلطان، بس والله خلاص هقوم البس علطول وانزلك..»

قال له «محمد» غاضباً:

- « كنت متأكد، انت طالما قولت في الحقيقة والواقع واحم تبقى كداب، يا ابن ميتين الكلب مش هتبطل أم الندالة بقى وترحمني من حركاتك الوسخة ديه..!»

رد عليه «وائل» باحثا عن أي كلمة يلطف بها الجو:

- « ياعم خلاص بقى، وبعدين المثل بيقول اقبل صاحبك على عيبه، هو يعني في حد كامل ياعم محمد؟، ده الكمال لله وحده ولا انت هتكفر ولا إيه..؟! «

نفخ (محمد) الهواء باتجاه رأسه متململاً وأردف :

نفخ «محمد» الهواء متململاً وأردف:

- «ولا، انت هتاخدني في دوكة ولا إيه، وبعدين المثل بيقول «عيبه» مش «عيوبه»، وانت مفيكش حاجة عدلة يا وائل، كلك عيوب ومستحملك برضه .. بس خلاص جبت أخري منك ومن عمايلك، قدامك خمس دقايق بالضبط، نزلت كان بها، منزلتش هروح المدرسة من غيرك، سلام»

قالها «محمد» وأغلق الخط، فلم ينتظر لأن يسمع رد «وائل» الذي عكر صفو مزاجه مع بداية اليوم بنذالته المعتادة، وتوجه إلى كشك صغير على قارعة الطريق، يقف فيه رجل مسن يُدعى «عم إبراهيم» ألقى «محمد» التحية عليه:

- «هات سيجارتين والنبي يا عم محمد» قالها مناولاً إياه النقود.

أعطاه العم إبراهيم لفافتي التبغ قائلاً:

- « يا سعيد يا بني انا قولتلك ألف مرة إن التدخين للي في سنك خطر جامد على صحتهم، إنت كده يابني

بتهد صحتك وبتدمر نفسك وانت لسا في عز شبابك، وهتندم وقت لا ينفع الندم ..!، أنا لحد دلوقتي بعاملك زي ولادي وبنصحك، بس لو زهقت منك هضطر أقول لأبوك، ومتزعلش مني يابني، الساكت عن الحق شيطان أخرس»

أخذ «محمد» تبغه:

- « ياعم إبراهيم دع الخلق للخالق، محدش بيموت ناقص عمر يا حاج»

قالها ثم أخرج قداحته وأشعل لفافة تبغه يلتهم نيكوتينها في رضا، منتظراً وائل صديقه، مطمئناً أن هذا الشيخ الخَرِف لن ينفذ تهديده، فهو لا يتذكر اسمه، فيوما يقول له «سعيد» وآخر يناديه «جرجس»، والعجيب أنه لم يناديه باسمه ولا مرة واحدة..!

أما وائل، فقد كان قد تحرك لتوه من على سريره، كانت غرفته صغيرة الحجم، جدرانها صفراء اللون،

وعليها الكثير من صور عمرو دياب المطرب المفضل ل»وائل»، وفي المنتصف سرير صغير الحجم، وعلى جانبي السرير كمودان، على واحدٍ منها جهاز كمبيوتر قديم الطراز بشاشة 15 بوصة، وعلى الآخر هاتفه المعلق بالشاحن ومذياع، والكثير من شرائط عمرو دياب، وأمام السرير خزانة ثياب بضلفتين، على كل واحدة منهما بوستر كبير لعمرو دياب..

ووائل_ إن كان يهمك وصفه_ طويل القامة، نحيف، حليق الشعر دائما، ولون بشرته أسمر وعينيه خضراء بشكل ملفت للنظر، فنادراً ما تجد شخصاً أسمر ملون العينين..

ضغط «وائل» على زرٍ في المذياع، فخرج منه صوت عمرو دياب يترنم:

«دوبنا دوب، طمنا قرب، فهمنا ده أنت اللي فاهمنا .. شوقنا أكتر شوقنا ... شوقنا أكتر شوقنا .. شوقنا أكتر ما اشتاقنا....»

كانت تلك عادته في بدء يومه، دائما ما يبدأ يومه بصوت عمرو دياب، ردد مع عمرو دياب كلمات أغانيه وهو يدلف إلى الحمام ليغسل وجهه، ثم خرج باحثاً عن منشفة، وحين لم يجد جفف وجهه بملاءة السرير، ثم بحث عن زييه المدرسي كثيراً، ووجده بعد عناء أسفل سريره فنفضه من التراب وارتداه، ثم ارتدى حذائه وأخذ حقيبته ودلف إلى حجرة والديه، ليجد أبيه نائماً مخرجاً صوتاً من أنفه يعكس خللاً في لحميته، فحركه بحركة خفيفة، ليقول له والده دون أن يفتح عينيه:

- « يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم، عايز ايه عالصبح يا زفت؟.!»

ابتلع وائل لعابه خوفا ثم قال:

- « عايز مصروفي يا حاج علشان نازل المدرسة دلوقتي »

رد عليه والده:

- « هو ده اللي انت فالح فيه، فلوس وبس، الحاجة الوحيدة اللي عمرك ما بتنساها، إنما تنسى دروسك ومدرستك ومذاكرتك عادي، عليا النعمة انت لو مهتم بدروسك قد اهتمامك بالفلوس كان زمانك احمد زويل بس هقول إيه، عيل خايب، خد يا اخويا مصروفك من درج الكومديون وسيبني اكمل نوم...!»

لم يعر وائل بالاً لكلام والده الذي اعتاده، وأخذ نقوده وأسرع يهبط الدرج حتى لا يثير حنق محمد أكثر من هذا...

***

(3)

علي

«ترررررررررررررن .. ترررررررررررررن»

يرن المنبه القابع على كومود في غرفة كبيرة الحجم نسبيا، في أحد الجوانب منضدة عليها تلفاز، وعلى كل جانب شجرة صناعية كبيرة وفي الجانب الأخر خزانة ثياب كبيرة مكونةً من خمس ضلف، ثلاث كبار، واثنتين صغار مرصعتان بقطع المرايات، تفصلان بين كل ضلفة كبيرة وأخرى، وهناك تسريحة بها مرآة كبيرة، وعليها الكثير من الأمشطة وكريمات الوجه والشعر، وأكثر من عشر زجاجات عطر..

وفي منتصف الغرفة، يجثم سرير كبير مبطن، وعلى جانبيه كومودان، على كل واحدٍ منهما أباجورة، وعلى الكومود الأيمن يوجد المنبه الذي ما فتئ يرن، وهاتف «علي» النقال، حرك «علي» يديه وهو لا يزال مغلقاً

عينيه، وأمسك بالمنبه المزعج وضرب به عرض الحائط ليسقط على الأرض صامتاً..

بعدها، وضع الوسادة على رأسه، في محاولة منه للعودة لحلمه، حين عاد صوت المنبه المزعج مرة أخرى، وشعر أنه يتحرك نحوه، فهو يسمع خطوات قدم تدب على الارض، ومعها يقترب صوت المنبه أكثر..

هل يعقل أن يسير المنبه؟..!

هذا ما دار في عقله المشوش، قبل أن تمتد يد لتنتزع الوسادة التي وضعها فوق رأسه وتلصق المنبه في أذنه، ليقوم مفزوعا واجداً أنها أخته منار..!

ألقى عليها الوسادة ضاجراً، وصرخ فيها لتخرج، لتدخل أمه على صوته، وتكمل مهمة منار في إيقاظه ليذهب إلى المدرسة، فرضخ لرغبة أُمه وقام متأففاً من سريره، وضغط على زر التشغيل في هاتفه ليفتحه، ثم وضع المنشفة على كتفه ودلف إلى الحمام..

كان «علي» مراهقاً كبقية رفاقه ، أبيض البشرة، يصفف شعره دائما بمجفف الشعر «السشوار» فتبدو رأسه كالقنفذ، طويل القامة، وله عينان عسليتان ببريقٍ مميز، يستخدمه جيداً للإيقاع بالبنات في شَرك حبه الذي ينصبه ببراعة..

من عائلة غنية، يعمل والده في شركة بترول، ووالدته مديرةً لأحد البنوك الكبيرة في مصر، وله أخت واحدة تسمى منار، في الصف السادس الابتدائي، وهي مصدر إزعاج دائم له ، فلكم تمنى أن تذهب لأقرب جحيم حيث يمكث أمثالها هناك، ولا تعود أبدا، ولكم صب عليها لعناته، ولكنها على ما يبدو محصنة من دعواته، ولا تستجاب أبداً أمنياته في الخلاص منها..

خرج من الحمام واضعاً المنشفة على كتفه ليجد هاتفه يرن، فذهب إليه ونظر إلى شاشته، وجد الاسم المتصل «DX Menna»..

فكر ملياً قبل أن يتأفف ثم قام بالرد على الهاتف قائلاً:

- «ألو، إزيك يا منة عاملة إيه.؟!»

جاء الصوت الأنثوي عبر هاتفه قائلاً:

- «وانت هيفرق معاك عاملة إيه ولا مش عاملة إيه، إزاي وانت مختفي من أسبوع»

رد عليها في محاولة منه لإنهاء المكالمة:

- «انتي عارفة انا في سنة كام.!؟، في ثانوية عامة، وانتي عارفة ان السنة ديه سنة فارقة في حياتي، فمش عايز اضيع أي وقت غير في المذاكرة، وبصراحة انتي بتعطليني عن كل حاجة وبتضيعي مستقبلي.!»

- «يا حبيبي!! وانت اكتشفت فجأة اني بعطلك عن المذاكرة وبضيع مستقبلك، ولا بنت تانية اللي خلتك تاخد بالك من ده.؟!»

في تلك اللحظة صوت هاتفه ينبئه بمكالمة أخرى قيد الانتظار، فنظر إلى الشاشة، وجد المتصل باسم «baby love»، فقال لمنة مسرعاً :

- «يا ستي لا بت تانية ولا تالتة، إنتي لو بتحبيني زي ما بتقولي هتهمك مصلحتي وهتخافي عليها وهتتبسطي من قراري ده، مش هتبقي ضده، بس واضح انك مش بتحبيني، عامةً مش هينفع نتكلم تاني غير بعد الثانوية العامة.. خلي باللك من نفسك»

ردت عليه، وقد بدا من صوتها انها على وشك البكاء، ولا يزال صفير الانتظار يرن في أذنه ومعه صوت منة المتهدج تقول له:

- «بس انا مقدرش ابعد عن ....

وقبل أن تستكمل حديثها كان صوت الانتظار قد قضي على أعصاب «علي»، فترك مكالمتها معلقة ورد على المكالمة بلهفة قائلاً:

- «روبي، وحشتيني، لأ وحشتيني كلمة عادية، أنا ناقصك، يعني كل حاجة فية ناقصة حاجة من غيرك، ومش هتكمل غير لما اشوفك أو اسمع صوتك ..!»

فجاءه الصوت فاتراً قائلاً:

- « والله، كنت ويتنج مع مين يا بيه وسايبني ارن عليك لحد الجرس ما خلص.؟!»

توتر «علي» قليلا قبل أن يردف قائلاً:

- «آآآآ ده محمد صاحبي عايزني اروح معاه المدرسة، بس انا قولتله اسبقني انت، ومكنش ينفع اقفل معاكِي أو اسيبه وارد عليكي عيب، وبعدين انتي مش واثقة فيا ولا إيه هي ديه صباح الخير.؟!»

ردت عليه متصنعة الدلال:

- « انت عارف كويس اني بغير عليك من الهوا الطاير، ومبستحملش اتخيل فكرة انك بتكلم حد غيري، وعامةً صباح الخير يا بيبي، ولما اشوفك انهاردة هصالحك، هنتقابل امتى.؟!

رد عليها:

- « هشوفك بعد المدرسة، بس اهم حاجة تصالحيني بضمير ..»

قالت له:

- « هصالحك بضمير يا حبيبي متقلقش، يلا روح كمل لبسك علشان متتاخرش على المدرسة، وانا كمان هروح اكمل لبس، اشوفك بعد المدرسة بقى، سلام»

- «سلام يا حب..»

أغلق الهاتف، وأكمل ارتداء ملابسه، ثم فتح درج المكتب وأخرج منه عبوة تبغ وقداحة، وضعهم في جيب سرواله، ووضع محفظته في الجيب الخلفي، وخرج ليجد السفرة عليها الفطار، فتناول فطوره سريعا، ثم ذهب لوالدته، قبل يدها تقرباً وتطبيلاً واستأذنها في مفتاح سيارتها، بحجة أنه سيذهب إلى درس بعيد بعد اليوم الدراسي، فأعطته إياها وسألته إن كان يحتاج نقوداً، فأخبرها أن معه ما يكفي وهم بالنزول...

وعلى الجانب الآخر كانت «منة» مجهشة بالبكاء، وفي يدها الكوفية التي أخذتها ذات يوم من «علي» حين

اشتد البرد عليها، وفجأة لمعت في عينيها فكرة شيطانية..

فكرة جعلت الدموع تجف في عينيها، وارتعش ثغرها بسمة مخيفة..!

إن لم يكن لها، فلن يصبح أبداً لغيرها، وتردد في ذهنها بيت من إحدى القصائد التي تدرسها يقول «إذا مت ظمآن فلا نزل المطر..!»

***

(4)

مينا

في غرفة متوسطة الحجم، على جدرانها صليب كبير والكثير من صور المسيح ومريم العذراء، يمكث سرير كبير يرقد عليه «مينا» ، بجانب السرير مكتب صغير الحجم عليه الكثير من الكتب الدراسية، وتمثال مصغر للعذراء تحمل فيه طفل صغير هو بالتأكيد يسوع، والكتاب المقدس بجانبه ميدالية مفاتيح على شكل صليب من الفضة، وكتاب «200 يوم حول العالم» الذي رشحه له صديقه محمد وأخبره أن به طريقة بدائية لتحضير الجن، أثارت الجملة الأخيرة فضول «مينا»، ودفعته دفعاً ليشتري هذا الكتاب ..

فتلك الأمور المتعلقة بعالمنا تروق لبني عالمكم بشكل يثير تساؤلي دائما..!

أجرى موقع «Debun Paranormal» المهتم بدحض مزاعم الماورائيات دراسة كان محورها «ظواهر ما

وراء الطبيعة» دامت حوالي سنتين، حيث بدأت في شهر مايو من عام 2007، لتنتهي في شهر يونيو من عام 2009، وشملت الدراسة 25 زعمًا متنوعاً طرحه أصحاب التجارب الذين كانت أعمارهم تتراوح بين 15 و 56 سنة، ومتوسط أعمار بين 30 إلى 35 سنة، وكان من ضمن ما أسفرت عليه تلك الدراسة أن نسبة 97% من العينة مهتمين بشكل كبير بعوالم الجن، ونسبة 88،5% يريدون تجربة التواصل مع تلك العوالم، ونسبة 32% من تلك العينة جربوا التواصل بالفعل مع عوالم الجن..

تلك النسب حقاً أثارت حنقي، ولكن دعونا نعرف «مينا» أكثر، ونرى حياته عن كثب بدلاً من الحديث في تلك الترهات والدخول في جدل بيزنطي حول أسباب تدخلكم في عالمنا وفضولكم الفج..!

استيقظ «مينا» وحده في السابعة والربع، فقد اعتادت ساعته البيولوجية الاستيقاظ في هذا الميعاد يوميا، حتى في يوم أجازته..!

فرك عينيه في محاولة لطرد باقي النوم منها، ثم متمطعاً فرد ذراعيه متثائباً كفرس نهر، وبعدها مد يده للمكتب فالتقط هاتفه المحمول ونظر فيه ليجد مكالمة لم يرد عليها، خمن أنها المكالمة الصباحية من «محمد»، فاتصل به ليخبره أنه استيقظ لتوه من النوم وسيرتدي ملابسه ويلحق به..

أنهى المكالمة معه، ثم أنزل قدمه يتحسس موضع شبشبه الذي امتطاه والتقط منشفة وجه ودلف إلى الحمام ليغسل وجهه..

«مينا» شاب مسيحي كاثوليكي، صديق طفولة لمحمد وشلته، قصير القامة ونحيف الجسد، أبيض البشرة، على وجهه بعض النمش، شعره بني اللون مجعد، وعيناه خضراوان ذات قصر نظر مما جعله يرتدي عوينات نظر دائماً.

خرج «مينا» من الحمام ووقف أمام الصليب الكبير الذي تجاوره صورة المسيح وقام بتقبيل يده ثم رفعها إلى رأسه ثم كتفه الأيسر فالأيمن وأخيرا أعلى معدته

في رسمه للصليب ودعا بصوت خافت لم أتبينه فعلاقة الفرد بربه لا استطيع التدخل فيها لمعرفة أسرارها..

ارتدى ملابسه سريعا ثم دلف إلى المطبخ وتناول فطوره من الثلاجة ليسمع صوت خطوات في الخارج خرج ليرى من صاحب تلك الخطوات فوجده والده فسأله قائلاً:

- « إيه اللي مصحيك بدري كده يا بابا الساعة لسا مجتش سبعة..!»

فرد عليه والده قائلاً :

- « قلقت يا مينا، انا مبقتش عارف انام وامتحاناتك خلاص عالابواب ومش هعرف انام غير لما تحققلي حلمي واشوفك دكتور قد الدنيا..»

ابتلع «مينا» ريقه حين تخيل خيبة الأمل التي سيصاب بها والده وقت ظهور النتيجة، فهو يعرف قدر نفسه جيدا، فلو استطاع دخول كلية تجارة ستكون

تلك معجزة، في زمن انتهت فيه المعجزات فرد عليه قائلاً:

- «بفضل دعوتك يا مقدس هبقى احسن دكتور في الدنيا، ادعيلي انت بس...»

ابتسم له والده قبل أن يسأله:

«انت مش هتيجي معايا الكنيسة انهاردة ولا إيه، ابونا سالني عليك اكتر من مرة وكل مرة بقوله عندك دروس ومذاكرة بس، ودايما يقولي «من أخطر أسباب الفتور أن ينشغل الإنسان إنشغالًا لا يجد فيه وقتًا لله أو وقتًا لروحانياته...ولا يصبح العمق لله، بل للمشغوليات ولا تكون لله الأولوية، بل يوضع في آخر القائمة... وهكذا تضيع الوسائط الروحية التي تبعث الحرارة في القلب فيفتر.» خد بالك من كلام ابونا يا ابني علشان الرب يوفقك في امتحاناتك..!»

رد عليه «مينا» منهياً الحديث حتى لا يتأخر:

- « انت عارف يا بابا قد إيه الثانوية العامة صعبة، خاصة اني علمي علوم كمان يعني معنديش وقت اتنفس حتى، اعتذر_له انت وقوله اني لما تيجي الأجازة مش هسيب حد غير لما اروح الكنيسة واخليه يدعيلي ويصليلي احقق حلمك واخش طب واجيب مجموع...!»

وقبل أن يرد والده عليه استطرد «مينا»:

- « هنزل انا بقى علشان كده هتاخر على ميعاد المدرسة، سلام يامقدس..»

رد عليه والده:

- « في حماية الرب يا ابني ..!»

ولكن مينا كان قد ذهب..

ظل «عدلي» والد «مينا» مستيقظا لفترة بعد ذهاب ولده يفكر في مستقبله ويتخيل شكل عيادته التي سيهديها له في يوم تخرجه، وبعدها وقف أمام صورة

السيد المسيح داعياً لولده بالتوفيق ثم رسم الصليب وذهب ليستكمل نومه فأمامه ساعتين على ميعاد عمله..!

***

(5)

إبراهيم

غرفة إبراهيم كانت الأغرب على الإطلاق، فلا أدري كيف يمكن أن يتحمل أدمي العيش في غرفة كتلك ، فهي غرفة صغيرة - إن صح إطلاق لفظ غرفة على مقلب القمامة هذا - جدرانها كانت زرقاء يوماً ما وأحال الاتساخ لونها للأسود، وعلى الحائط صور قديمة ل»حازم إمام» نجم الزمالك والأرجنتيني «مارادونا» والفرنسي الجنسية_الجزائري الأصل «زين الدين زيدان» برقم عشرة المميز له ، وأكثر من صورة للمغني الجامايكي الشهير « بوب مارلي « لم يعلقها لشيء سوى لسيجارة الماريجوانا التي يعتقد إبراهيم أنها بانجو، كالتي يلتهم سمومها بانتشاء جلي على ملامحه..

بالطبع خيالك اللعين الذي دائما ما يستبق الأحداث رسم صورة لهذا الإبراهيم أو كما ينعته أصدقائه «هيما» أنه إنسان رياضي قوي البنية فارع القامة

يواظب على لعب الكرة، ولكن يؤسفني أو لعله يسعدني أن أحطم ما رسمه خيالك، وأصف لك هيما هذا قبل أن استكمل وصف غرفته..

إبراهيم عثمان: كائن هلامي مترهل الجسد، يتعدى ال 140 كيلو جرام ولا يتجاوز طوله ال170 سنتيمتر، دائما حليق الشعر، لديه خدود مميزة تظهر عندما يضحك أو يبتسم، خفيف الظل كأنه من نسل إسماعيل ياسين، ومستعد لفعل أي شيء مقابل سيجارة ملغمة بأي مخدر، أما عن أسرته فوالده يعمل في إحدى دول الخليج العربي، ووالدته ربة منزل تحاول أن ترعاه هو وشقيقه الأكبر ممثلة لدور الأم والأب معاً، أو هكذا تظن..!

أما باقي غرفته فهي كما ذكرت مسبقا، مقلب قمامة أو مزرعة حيوان، غرفة ليس لها ملامح، بها سرير صغير تشعر للحظة أنه منحني بسبب الوزن الزائد الذي يرقد عليه، وفوقه إبراهيم يغط في سبات عميق كإطار سيارة تريلا فارغ من الهواء، مصدراً أصواتاً شتى من أنفه انعكاساً لمشاكل جمة في لحميته الأنفية، وبجانب

السرير المأسوف على أمره يقبع شيء ما إلى المنضدة الصغيرة أقرب، عليها كتب مدرسية لم تفتح من قبل، وبعض الكتب الخارجية المخبأ بداخلها أوراق من «البفرة»، وهاتف محمول وساعة يد وبعض الأشياء الأخرى مجهولة الهوية مطموسة الملامح التي لا يعلم كنهها سوى الله، وإبراهيم، ربما لديه بعض المعلومات عنها..

وعلى الأرض تكور أكثر من قميص وعدد لا يحصى من السراويل، يجعلك تتساءل عن فائدة خزانة الثياب طالما جميع ملابسه على الأرض، وعدد هائل من الجوارب يحيل رائحة الغرفة لمبولة عامة، والغريب في الأمر أنه لا توجد فردة واحدة تشبه الثانية، وزوج من الأحذية مقلوبٌ أحدُها وأشياء أخرى كثيرة لا داعي لذكرها..

مع دقات الساعة الثامنة صباحاً كان صوت ال«طششششششش» هو أول من بارك لإبراهيم صباحه الجديد مع صفعة على وجهه من الماء المثلج كانت من والدته..

فهي الطريقة الوحيدة التي يستيقظ بها، وإلا سيظل نائماً النهار بأكمله، تماماً كحيوان الكوالا..

قام من على سريره متنمراً كعادته، من الطريقة التي توقظه بها والدته فردت عليه:

- « اصحى يابيه علشان اتأخرت على ميعاد مدرستك كالعادة، وديني وما أعبد لو ما قومت في دقيقة من عالسرير لاكَسَّر على جتتك عصاية المقشة واخصم حقها من مصروفك..!»

على مضض قام إبراهيم من على سريره متأففا، وخرجت أمه وهي تقول شيئاً عن غرفته وإهماله وأنها أقرب ل»زريبة» منها لغرفة نوم، ولم يلفت نظرها في كل تلك الفوضى سوى الحذاء المقلوب، فعدلته مستغفرة الله، ظناً منها أن الحذاء هكذا في وجه الله، وهذا إثم يستحق إبراهيم عليه الرجم، ولكن بعد امتحانات الثانوية العامة..!

فِكْرُكُم المحدود، بعقولكم البازلائية الحجم أيها البشر، إما يقتلني ضحكاً أو يقتلني ضجراً، في أي شرع أو شريعة قيل أن الحذاء المقلوب يكون في وجه الله، ومن أي معتقد أحمق ورثتموه؟..!

خرجت بعدها الأم داعية على إبراهيم وأخيه، وأبيهم الذي تركها وحدها لهذا الزوج من الحمقى عديمي المسئولية، وتسب اليوم الذي ولدتهم فيه، فلا يشفي هذا غليلها فتسب اليوم الذي تزوجت فيه، وتستمر هكذا لمدة لا تقل عن ربع ساعة، يكون إبراهيم خلالها اختلس سيجارة مخبأة بين كتابين على منضدته، ودخل الحمام ليلتهم نيكوتينها ليستطيع بدء يومه ثم يخرج ليعد لنفسه كوب شاي، يحتسيه على عجل قبل أن تنفجر رأسه من تذمر والدته على كل شيء دون وجه حق – في نظره - فما الذي يغضبها في إهماله لغرفته وصحته ودراسته وعدم فتح السيفون بعد قضاء حاجته، جميعها أشياء لا تستحق كل هذا الذي تفعله كل صباح..!

ارتدى إبراهيم ملابسه على صوتها الأوبرالي، وارتشف الرشفة الأخيرة في كوب الشاي خاصته، ثم هرول على السلم ليتخلص من ضجيجها الذي سيستمر إلى يوم القيامة..!

على الدرج قابل هيثم صديقه، وأثناء التحية وضع هيثم في يده لفافة صغيرة، عرف إبراهيم على الفور أنها قطعة «حشيش»، يعطيها له هيثم من حين لأخر من باب الجيرة وصداقة العمر التي تجمعهما، وفي بعض الأحيان يصعدان سويا إلى سطح المنزل ليشربا سويا سيجارة من سجائر هيثم الملغمة بالحشيش، ولكن هذا لا يحدث كثيراً، ابتسم له إبراهيم وشكره بشدة ثم أخرج هاتفه الجوال وأتصل ب»علي» صديقه:

- «ألو، إيه يا ليكا انت فين يا زفت؟»

رد عليه «علي» قائلاً:

- « انا في المدرسة يا بني، ومعايا الشلة كلها، انت اللي فين لحد دلوقتي..؟!»

قال له «إبراهيم» مبتسماً:

- « انا جاي في الطريق اهو، بس مش هحضر، والنبي سيبلي مفتاح عربيتك وشقة أكتوبر مع عم شعبان الفراش وانا هعدي اخدهم منه، اريح هناك شوية واجيلكم في ميعاد الخروج، علشان ملحقتش انام وامي طردتني من البيت..»

رد عليه «علي» متعجباً:

- « انت هتصيع عليا، عليا الطلاق من بنت الحلال اللي لسا مقابلتهاش انت معاك حشيش وهتشربه لوحدك هناك، انت وائل بهت عليك ندالة ولا إيه ياض انت، وربنا لو شربت من غيرنا لا هتركب عربيتي تاني ولا هدخلك شقة أكتوبر، وابقى اشرب في الشوارع بقى !..

ضحك إبراهيم بصوت عالي ورد عليه:

- « ياعم متخافش انا معايا نص صباع، يعني هيكفينا كلنا، انا هاخد تصبيرة بس لحد ما تخلصوا من ام المدرسة اللي مديرها اسمه ملل وناظرتها الأستاذة كآبة، وانا عندي حساسية من الاتنين»

- « طيب يا اخويا، هسيبلك ميدالية المفتايح مع عم شعبان، عدي خدها بس اقسم بالله يا زفت انت لو العربية اتخدشت لاقتلك، انا مش ناقص محاضرة من امي وتمنعني اني اخدها أسبوع زي المرة اللي فاتت بسبب انك مبتعرفش تسوق، ومتتأخرش بعد المدرسة علشان رايح مشوار مهم ..»

استمر إبراهيم على ضحكته الصافية وقال له:

- « متخافش، مش هعدي الأربعين وهسوق بالراحة ولو اتخدشت ابقى اعمل اللي انت عايزه يلا سلام.

رد عليه «علي» مسرعا كمن تذكر شيئاً:

- « استنا استنا يخربيتك سلام إيه، انهاردة المراجعة النهائية للكميا واحنا محضرناش ولا حصة فيها، مش

هتيجي تلملك أي كلمتين تكتبهم في الامتحان.؟!»

قال له «إبراهيم»:

- « كميا إيه ياعم انت هتقلب دماغي، انا بيتهيألي اني أدبي، ويارب مطلعش غلط علشان مروحش في داهية.! »

ضحك «علي» ورد عليه:

- « يخربيتك، انت مش عارف انت علمي ولا أدبي !!، ربنا يسترها عليك والله يابني، هسيبلك المفاتيح تحت واطلع انا الحصة واوعى تتاخر عن الساعة واحدة.

- «متخافش ياعم مش هتأخر، أهم حاجة بس انت واثق ابوك مش هيطب عليا زي المرة اللي فاتت ولا إيه»

رد عليه «علي» وهو يصعد الدرج:

- « متخافش، مش هيروح تاني غير لما يلاقي زبون تاني للشقة، واحنا ان شاء الله هنطفشه بالطريقة، ربنا يستر بس وميبعهاش، علشان الشقة ديه لو اتباعت مش هنلاقي أي مُكنة تاني تلمنا، يلا انا وصلت الفصل سلام.

- «سلام»

قالها إبراهيم قافزاً في أول ميكروباص قابله ثم ذهب إلى العم شعبان، أخذ منه المفاتيح واستقل سيارة «علي» ليذهب إلى المنزل الذي يمارسون فيه كل ما يحلو لهم بعيدا عن أعين الرقابة المتمثلة في أهاليهم، فهي في مكان لم يعمره البشر بعد، وأقرب عمارة يقطنها البشر تبعد عنها عشرات الكيلو مترات..!

***

(6)

ملل

في المنزل، كان «هيما» يقوم بلف جزء من قطعة الحشيش التي اكتسبها في الصباح، وترك الباقي للمساء، وبمجرد أن انتهى من عمل قرطاسه الصغير الذي يسميه «جيوان» قام بإشعاله تاركا عقله يتسرب منه في متعة هي الأولى في قائمة أولويات متعه في هذه الحياة، وبعد أن انتهى من سيجارته قام ينقب في البيت عن شيء يؤكل، فوجد عبوة شيكولاتة منسية من المرة الأخيرة فالتهمها على مرة واحدة، ولكنها لم تُشبع شبقه للطعام فمد يده في جيب سرواله باحثا عن نقود، فوجد معه مصروفه اليومي الذي بالكاد يكفي لشراء كيس شيبسي وقطعة أخرى من تلك الشيكولاتة التي لا تشبع ولا تغني من جوع، ونقود حصة درس التاريخ، التي من المفترض أن يحضرها اليوم بعد أذان العصر..

فأخرج هاتفه وبحث في قائمة الأسماء حتى وجد ضالته فضغط على زر الاتصال وبعد مرور ثواني رد:

- «محل «بيتزاوي» ..؟! »

- « تحت أمرك يا أفندم ..!»

- « عايز بيتزا سي فود حجم وسط وفطيرة شيكولاتة صغيرة لو سمحت..»

- « حاجة تاني مع الاوردر.؟!»

- «لا شكراً »

- « العنوان لو سمحت..؟!»

- « 13 ش 10 كومباوند الملكة في 6 أكتوبر..»

- « ده رقم تليفونك ولا فيه رقم تاني بتاع الديلفري يكلم حضرتك عليه.؟!

- «لا لا هو ده الرقم تمام»

- « 35 دقيقة ويكون عندك الاوردر، شكرا لثقتك فينا يا افندم، سلام ..»

ثم وضع الهاتف في جيب سرواله حالما بطعم البيتزا في فمه، ناظراً إلى المتبقي من قطعة الحشيش نظرة عاشق، ممسكا نفسه بالكاد من شربها دون أصدقائه، شاعراً نفس شعور الصائم قبل أذان المغرب بساعة..!

بعد ساعة إلا ربع رن هاتفه برقم المطعم يسأله العنوان مرة أخرى فشرحه إبراهيم له بطريقة سلسة تمكنه من الوصول بسهولة، فوصل الطعام بعد المكالمة بربع ساعة ليزدرد البيتزا وفطيرة الشيكولاتة المحشوة بالمكسرات بنهم، ثم يتجرع عبوة مياه غازية وجدها في الثلاجة على مرتين، ويقرر أن يخلد إلى النوم حتى يحين موعد الخروج من المدرسة..

في هذا الوقت في المدرسة، كان الملل هو الفائز في سباق المشاعر بفارق بسيط، مع الشعور بالفشل الذي استقر داخل أفراد الشلة في الفصل، وكان الراعي الرسمي لهذا السباق «أستاذ أشرف ماهر»، مدرس

الكيمياء الذي ظل يتحدث كثيرا عن حمض الترتريك والمركب الناتج عن معادلة خلط ال H2So4 مع ال HSK في جو يتخلله ال O2 مع القليل من ال H2O مع الكثير عن تحضير حمض الميثانول وحمض الهيدروكلوريك..

الآن فقط فهموا معنى كلمة «هي كميا» التي يرددها العامة كناية عن سهولة الشيء طالما أنه ليس كيمياء..!

لم يكن ينقص هذا الجو البديع الذي تخلل الشلة في هذا الوقت سوى «أستاذ محمد عبد الجَيِّد» مدرس الفيزياء اللعين الذي ظل قرابة الساعة والنصف يشرح ما توصل إليه نيوتن حين سقطت التفاحة على رأسه..

ليت نيوتن كان مصرياً، كان ليأكل التفاحة ويغط في سبات عميق محتضناً كرشه المتدلي مرتاح الضمير كطفل صغير وأراح البشرية من عناء اكتشافه المقيت..!

ولكنه، وللأسف ليس مصرياً، ولم يأكل التفاحة وينام بل ظل يفكر حتى وصل لقانون الجاذبية الذي سيجذب إلينا الرسوب جذباً..

كان هذا لسان حالهم في الحصة، ولم يكتفِ المدرس بشرح قانون الجاذبية، بل ظل يتحدث عن معادلة ناتج ألفا إذا كانت سرعة السقوط مضروبة في 2^{12} مقارنة بسرعة الضوء مقسومة على 100^{32} مطروح منها الوقت المحتسب في السقوط ومجموع إليها فترة السقوط الكلية مضروبة في جزء من الثانية..

كانت تلك المسألة هي القشة التي قصمت ظهر البعير، والتي قرر بعدها محمد ألا يستكمل هذه الحصة، وليذهب المنهج والمستقبل لأقرب جحيم بطائرة يقودها مستر محمد عبد الجيد، وركابها المدرسين جميعا، ومعهم أينشتاين ونيوتن وكل من ساهم في تلك المعاناة التي نعيشها..!

نظر «محمد» إلى «مينا» فوجده يلعب لعبة «XO» مع «علي» في الصفحة الأخيرة من كشكول الفيزياء،

ونظر إلى «وائل» فوجده واضعاً يده على جبينه، طريقته المعتادة في سماع عمرو دياب أثناء الحصة دون أن يلفت الأنظار إليه هي أن يمرر سلك سماعة الأذن عبر يد القميص ثم يضع السماعة في كف يده ويضع يده على جبينه ويستمتع بمطربه المفضل، طريقة فعالة وصعبة الاكتشاف..

أخبرهم أنه سيخرج من تلك الحصة اللعينة قبل أن يقتله الملل مع سبق الإصرار والترصد، فوافقوه على الفكرة الراجحة ليصرخ فيهم المدرس قائلاً:

- « الصوت اللي جاي من آخر ديسك، ممكن الأستاذ اللي ورا يقولي بيتكلم في إيه أهم من حصة الفيزيا الأخيرة..؟!»

وقف محمد ورد عليه قائلاً:

- « أنا مش بتكلم في حاجة، أنا كنت بسأله عن حاجة بس يا مستر والله ..!»

اقترب منه المدرس ملوحاً بعصاه وسأله:

- «لو عايز تسأل أي سؤال اتفضل اسألني أنا..!»

ابتسم ابتسامة شيطانية ورد قائلاً:

- « حاضر يا مستر، هنروح القهوة ولا شقة «علي» بعد الحصة المملة ديه.؟!»

خر الفصل على ركبه ضحكا، وتلظى صدر المدرس غضباً قبل أن يطردهم من الحصة، بعدها ذهبوا إلى عم شعبان فوضع «علي» في يده حفنة من الجنيهات، فتركهم يخرجون من هذا الجحيم المقيم..

اتصلوا بإبراهيم مراراً ولكنه لا يجيب، ليقول «علي» في حنق:

- « الله يخرب بيت إبراهيم حيوان الباندا اللعين، أكيد نايم زي أي حيوان كسلان بيحترم نفسه، مع إني منبه عليه ألف مرة إني عايز العربية ضروري بعد المدرسة علشان عندي مشوار مهم، بس هقول إيه، اعتمدت على كائن متخلف..!»

قال له «مينا» ضاحكاً:

- «انت رحاب غيرتك خالص يا سوسو، تحب اقولك انت اديت لمنة كام ميعاد ونفضتلها، ولا اليوم هيخلص قبل ما اكلمك عن عدد المرات ديه..!»

ضحكوا جميعا وقال «علي» في محاولة فاشلة ليصبح جاداً:

- « الموضوع مش زي ما انت فاكر ..!»

قاطعه «محمد» قائلاً:

- « أيوة أيوة ماهي رحاب غير منة، زي ما كانت_منة غير سارة، وبيتهألي برضه إن سارة كانت غير بسنت، الكل عند «علي» في البداية «غير» لحد ما تظهر واحدة جديدة، مين يراهن ان أول ما تظهر في حياة «علي» بنت جديدة هينفض لرحاب خالص؟!..|

بالطبع لم يراهن أحد، لثقتهم في كلام محمد، وابتسم «علي» في خجل، فقد لخص «محمد» حالته ببلاغة

تامة غير جديدة عليه، فاستطرد محمد قائلاً:

- «ياعم يلا نوقف تاكسي أو نطلب «أوبر» ونروح نصَحّي هيما بيه من الغيبوبة اللي هو فيها، وانت روح ميعادك، بس منوعدكش ان احنا هنستناك في الحشيش لحد ما ترجع، انت عارف يا صاحبي، الغايب ملهوش نايب..»

لم يستطع «علي» تقبل قول محمد، فأخرج هاتفه وأجل ميعاده مع «رحاب» ليوم أخر، وحين علت أمواج غضبها، لم يكن عليه سوى استخدام الكذب كقارب نجاة، فأخبرها أن لديه حصة مهمة وهي الأخيرة، ويجب ألا يدعها تفوته، مع اسطوانته المحفوظة عن مستقبله الذي يجب أن تحافظ عليه وتهتم به إن كانت حقاً تحبه كما تدعي، فرضخت للأمر الواقع وقبلت بتغيير الميعاد على ألا يكرر «علي» فعلته..

بعدها قال لهم «وائل» أنه سيذهب للمنزل لِيُحضر بعض النقود، ويخبرهم أن لديه درس مراجعة نهائية،

فرد عليه محمد قائلاً:

- « بقولك ايه مفيش داعي للندالة، لو ناوي تروح ومترجعش تاني قُولِّنا من دلوقتي علشان منستناش سعادتك عالفاضي، وتليفوناتنا كلنا تخلص شحن واحنا بنكلمك وانت مبتردش على حد فينا..!»

أقسم «وائل» أنه سيعود، فابتسم «مينا» في سخرية وقال مازحاً:

- « انا ممكن اصدق ان فيه فيل بيطير، بس مصدقش كلمة انت بتقولها ياض انت، ده انت كداب كدب الإبل..»

استكمل «محمد» الحديث قائلاً:

- « ياعم بسيطة، معاك ساعة من دلوقتي، جيت، كان بها، مجيتش، مش هيكونلك نصيب في حشيش هيما »

رد عليه «علي» وهو يوقف تاكسي:

- « هههههههههههههه وربنا هنلاقي إبراهيم شرب الحشيش كله في الاخر، واحنا بنقسم الهوا على بعض..!»

ضحك الجميع ثم استقلّوا التاكسي، وركب «وائل» سيارة أجرة ليذهب إلى المنزل..

***

(7)

فيلم وثائقي

وصلوا إلى المنزل القاطن في السادس من أكتوبر، وأعطى «علي» لسائق التاكسي أجرته وكاد يحطم الباب دون أن يجيب إبراهيم، لولا أن رأوا سيارة «علي» القابعة أمام المنزل لظنوا أنه ليس بالداخل، ولكن احتمال وفاته هو احتمال وارد أيضاً..

تذكر «علي» أنه يملك نسخة أخرى للشقة ففتح الباب وترك المفتاح في الباب وهرولوا جميعا للداخل يبحثون عن إبراهيم حتى وجدوه مستلقٍ على إحدى الأرائك نائماً كالملائكة - إن كانت الملائكة تنام - فسكب عليه «علي» دلو ماء، ليستيقظ إبراهيم صارخاً شاهقاً مما أشفى غليل «على» نسبياً، وقبل أن يستكمل «علي» صب اللعنات والسباب على «هيما» رن هاتفه الجوال فنظر إليه ليجده «وائل»..

ضغط_زر الرد وقال له:

- « عايز إيه أنت التاني..؟!»

- « تعالى خدني والنبي يا «علي» انا مستنيك عالقهوة اهو »

- «وانت رجليك اتقطعت في الثورة ولا خايف تتعاكس في الطريق ولا تكونش هتتخطف وانت جاي؟، ما تيجي لوحدك ياض انت اتشليت ..!»

- «انت عارف ان مفيش ميكروباص بيروح لبيتك ومش معايا فلوس للتاكسي انا!»

- « طب ما تطلب «أوبر» ولما تيجي انا هحاسبلك»

- «ياعم وعلى إيه ما تيجي انت في السريع خدني ونرجع سوا »

- « حاضر يا قدري الأسود منا السواق اللي جابهولك ابوك..!

ثم أخبرهم أنه سيذهب ليأتي «بوائل» حتى يقرروا ما سيفعلونه..

قام «هيما» بتحويل قطعة الحشيش إلى سيجارتين وأخرج «مينا» المياه الغازية من الثلاجة ورتب الجلسة - وبالمناسبة هو الشخص الوحيد في الشلة الذي لا يدخن – رغم سخريتهم الدائمة منه ولكنه يمقت رائحة السجائر كالموت..

جلس محمد يشاهد فيلماً وثائقياً على قناة «national geographic» يصور حياة الضواري في أفريقا ، يستعرض الفيلم في البداية قطيع من الجاموس الوحشي تتصارع ذكورُه لنيل إعجاب إحدى الإناث، في حين أن أغلب الإناث لا يعرنها بالاً ويزدردن طعامهن من أعشاب الأرض، في خلفية موسيقية هادئة حتى تتوتر الموسيقى لتصبح أكثر إثارة مع ظهور لبؤة كانت متخفية وسط الأعشاب تنتظر اللحظة المناسبة لتنقض عليها، وبمجرد ظهور اللبؤة يجري القطيع بأكمله وهي تركض ورائه وتقفز على ظهر الجاموسة المتأخرة من القطيع، لتظهر لبؤة أخرى

تمسكها من ذيلها حتى سقطت الجاموسة على الأرض فأمسكت لبؤة ثالثة برقبتها، والتف القطيع حولها حين دق الباب..

فتح «مينا» الباب، وكان الطارق هو «وائل» وأتى خلفه «علي»، بمجرد أن دخلا الشقة كان الفيلم قد انتهى وأتت فترة الإعلانات، هم «إبراهيم» بإشعال السيجارة حين رن هاتف «وائل» فجأة، وكان المتصل والده، ارتبك «وائل» لبرهة ثم تمالك أعصابه ورد بهدوء مصطنع:

- « ألو ..»

ليأتي صوت والده الغاضب من الجهة الأخرى:

- « انت فين يا ابن الجزمة انت.؟!»

حاول «وائل» جاهدا الحفاظ على ثباته الانفعالي فرد عليه:

- « انا في الدرس يا حاج، حتى تاخد تكلم المدرس؟»

قالها متمنياً أن يرفض أبوه ويطمئن لثقته ولكن رد أبوه عليه بآخر رد توقعه قائلاً:

- « لا خد كلمه انت يا اخويا، المستر معاك اهو ..! »

فغر وائل فاه ولم يستطع أن ينبس ببنت شفة، وتروس عقله تحتك بشدة بحثا عن كذبة تخرجه من تلك الورطة حين جاء صوت المدرس عبر الهاتف:

- « انت فين يا «وائل» بيه، وازاي تقول لابوك انك في الدرس وانت مجيتش الدرس من أسبوعين، بتودي فلوس الدرس فين يا بيه.؟!

تردد «علي» للحظة قبل أن يرد بارتباك:

- « آآآآ، انا أسف يا أستاذ، حضرتك عارف ان الكيميا مادة صعبة جدا، ومش عارف المها لوحدي فبدلت حصة حضرتك بحصة الكيميا، بس ان شاء الله هعوض كل الحصص اللي غيبتها مع حضرتك لما اخلص منهج الكيميا..

فرد عليه المدرس قائلاً:

- « خد قول لأبوك الكلام ده، بس صدقني انا اقطع إيدي ورجلي لو انت كنت عارف مين بيكلمك وبيدرس مادة إيه، قال بدلت الحصة بحصة كيميا علشان تلمها، آدي دقني لو فلحت..»

رد عليه أبوه غاضبا فكرر «وائل» عليه نفس الكلام فرد عليه والده متعجباً:

- « يا حبيبي، تصدق ظلمتك..!، بس تقول ايه، إن بعض الظن إثم، بس مش غريبة ياض يا «وائل» انك تبدل حصة كيميا بحصة كميا تانية، انت بتصيع عليا يا ابن الكلب، وحيااااة امك لاعلّقك عريان على منشر البلكونة وادهن جتتك عسل واسيبك متعلق الدبان والناموس ياكلوك ويخلصوني منك ومن قرفك، 10 دقايق وتكون عندي من مكان ما انت موجود ..»

قالها والده مغلقاً الخط فابتلع «وائل» لعابه وقرر أن يرحل، قبل أن يقول له «محمد»:

- « لو رجعت دلوقتي ابوك هيعرف انك بتكدب وهيعلقك، مفيش غير انك تقوله انك غيرت المدرس القديم علشان مش فاهم منه ولا كلمة وروحت لمدرس تاني غيره، وإن ابوك لما راح للمدرس القديم بتاعك حطك في موقف وحش، علشان كده انت اتوترت ومعرفتش ترد تقول إيه، صدقني هتخش عليه ومش بعيد يعتذرلك كمان ..!»

اقتنع «وائل» بالكلام تماماً، وبدأ الحفل حين أشعل إبراهيم السيجارة الأولى التي دارت على الجميع وبمجرد إعادة الدورة مرة أخرى كان الفيلم الوثائقي التالي قد بدأ..

«لعبة: تحدي الموت»..

يقول محقق - يبدو أنه انجليزي أو أمريكي - بإنجليزية مرتبة لم يفهموا منها شيئاً (ولولا وجود الترجمة لما انتبهوا له):

«تلك اللعبة اخترعها الشباب بدافع الملل وتجربة كل ما هو جديد »

تلك هي الجملة التي جعلتهم جميعاً ينتبهون لهذا الفيلم ، فقد استطاع هذا المتمرس أن يجذب انتباههم بحق، بتعبيره عن حياتهم، وإثارة الفضول داخلهم لمعرفة كنه تلك اللعبة لتجربتها..

استكمل المذيع أو المحقق أو أيًا كانت وظيفته حديثه قائلاً:

«بدافع من الملل الذي يملأ حياة أغلب المراهقين، حتى ولو كانت حياتهم مثيرة كحياة هتلر شخصياً، توصل البعض للعبة صُنِّفت على أنها الأخطر على مر التاريخ بسبب عدد الضحايا فيها، فهي لا تقل خطورة عن ألعاب تحضير الجن وألواح الويجا في شيء، بل ربما هي أخطر..»

كان صبر الشلة قد نفذ، ولسان حالهم يريده أن ينتهي من تلك المقدمة السمجة التي يجب أن يقولها لإثارة

الفضول، فقد أثار الفضول بما فيه الكفاية، فليتحدث عن تلك اللعبة إذن، أم سيستمر في الحديث هكذا طوال الحلقة ويتحدث عن تلك اللعبة في حلقة أخرى..!

فيقول المذيع المتأنق وكأنه سمعهم:

« تلك اللعبة سماها البعض «تحدي الموت» والبعض الأخر «المشنقة» والمتفلسفين من الشباب قاموا بتسميتها «تجربة الموت الوجيز»، وآخرون نعتوها ب»تجربة الاقتراب من الموت»، وهي تستحق كل تلك الأسماء بحق..

صمت بعدها لبرهة قال «محمد» خلالها:

- « ياعم حتى لو كان اسمها «شكري»، مش مهم سيبك من الهري ده وقولنا إيه اللعبة ديه..!»

ضحك الجميع ضحكاً أكثر مما تستحقه الدعابة من تأثير الحشيش على رؤوسهم واستكمل المذيع حديثه قائلاً:

« اللعبة باختصار ..»

قاطع «وائل» الحديث مداعباً الشلة:

- « نص ساعة بتمهد للعبتك اللعينة ديه ولما تيجي تتكلم عنها تتكلم باختصار، يخربيتك، يا عم اطفي الهري اللي شغال ده وشغلنا أي أغاني لعمرو دياب ..!

لكن أحداً لم يلتفت إليه فقد بدأ المذيع وصف اللعبة قائلاً:

«تتم كرهان بين الأصدقاء، حيث يعلق الشباب حبل مشنقة في سقف الغرفة ويشنقون نفسهم واحداً تلو الأخر وحين يشعر الشخص المشنوق أنه لن يستطيع التحمل أكثر يشير لهم فينزلوه، والشاب الذي يستطيع أن يشنق نفسه مدة أطول في الشلة هو الذي يفوز بالرهان..!»

ثم عرض بعض الصور لشباب أجانب أحدهم مشنوق في حبل وقد غادرت روحُهُ جسده بلا رجعة وآخر ملقىً على منضدة وقد اقتربت الكاميرا منه لتصور

آثار الحبل الملتف حول رقبته وثالث يتحدث عن تأثير التجربة عليه وفقده صديق لم يستطع أن يشير في تلك اللعبة، ثم تحدث دكتور علم نفس عما يسببه الفراغ من مشاكل للفرد، وأن غياب رقابة الأهالي تسبب كوارث عديدة، هذه الكارثة هي أقلهم، مع الكثير من المصطلحات غير المفهومة، ولكن كل هذا كان غيرُ هام للشلة، ولم يعيروه له بالا أو يكلفوا خاطرهم بقراءة ترجمة الترهات التي يقولها هؤلاء المتحذلقون..

لقد لمعت أعينهم وأخذوا القرار بالفعل..!

سيلعبوا تلك اللعبة، الآن...!

***

(8)

تحدي الموت

لقد احتل الملل تلك الشلة على الرغم من انشغالها التام، جلس محمد يشاهد فيلماً وثائقياً على قناة «national geographic» يصور حياة الضواري في أفريقا، يستعرض الفيلم في البداية قطيع من الجاموس الوحشي يتصارع ذكوره من أجل نيل إعجاب أحدى الإناث في حين أن أغلب الإناث لا يعيرونهم بالاً ويزدردن طاعمهن من أعشاب الأرض في خلفية موسيقية هادئة حتى تتوتر الموسيقى لتصبح أكثر إثارة مع ظهور لبؤة متخفية وسط الأعشاب تنتظر اللحظة المناسبة لتنقض عليهم وبمجرد ظهورها يجري القطيع بأكمله وهي تركض ورائه وتقفز على ظهر الجاموسة المتأخرة من القطيع لتظهر لبؤة أخرى تمسكها من ذيلها حتى سقطت الجاموسة على الأرض فأمسكت لبؤة ثالثة برقبتها والتف القطيع حولها حين دق الباب..

إلا أن الروتين الوهمي الذي وضعوا أنفسهم فيه جعلهم يتوهمون الملل، مما دفع «محمد» ليقترح البدء في تلك اللعبة لاعباً على وتر حساس من مشاعرهم وهو «الشجاعة» فقال لهم:

- « بما إننا كلنا حاسين بالملل من حياتنا المملة، وكل أحداث يومنا بتتكرر بكآبة، هنعمل المخاطرة ديه ونلعب اللعبة، انا عارف ان التحدي صعب جدا عليكم وعايز شجاعة و»رجولة» بس اللي عايز يعتذر عن اللعبة يعتذر من دلوقتي عادي، أصل اللعبة ديه مينفعش حد يلعبها غير الرجالة، متنفعش للعيال خالص .. مين هيلعب معايا ومين هيعتذر يا رجالة...؟!!

صمت الجميع، فلن يجسر أحد على رفض هذا التحدي، وإلا عليه أن يحتمل التشكيك في رجولته وشجاعته إلى الأبد، وكانت كلمة «محمد» الأخيرة كفيلة بأن يعيد كل من فكر في الرفض تفكيره مرة أخرى، لأن رفضه ليس له سوى معنى واحد .. انه جبان ويخشى

«ألعاب الرجال» وهو اتهام لن يحتمله أي شخص منهم !..

حين لم يجد «محمد» اعتراضاً منهم قال¬ مستطرداً:

- هنعمل قرعة واللي هيقع عليه الاختيار هيكون هو أول واحد في التجربة، هنعلق الحبل في جَنْش المروحة، ونحط كرسي تحت اللي هيقع عليه الدور في القرعة ويلعب أول واحد، وطبعا كل واحد هيجرب هيلف تيشرت قديم على رقبته علشان الحبل ميسبش أثر على رقبته، وإلّا أهالينا هيشنقونا فعلا، علشان مش هنلاقي كذبة محترمة وبنت ناس نقول فيها إيه السبب اللي يخلي حبل يسيب علامة على رقابينا غير اننا كنا بننتحر، وده في حد ذاته انتحار، وبعد كده اللاعب هينزل من عالكرسي برّاحة علشان رقبته متتكسرش، ونشغل ال»تايمر» على التليفون، وأول ما اللي بيلعب يحس انه خلاص مش قادر يستحمل، يشاور بإيده هنّزله بسرعة، وأكتر شخص هيقعد أطول وقت على حبل المشنقة هو اللي هيكسب ..! ،هيكسب

إيه بقى؟! هيكسب صباع حشيش على حساب الباقيين اللي خسروا، متفقين..؟!»

أبتلعوا لعابهم في توتر ورددوا في نفس واحد أنهم مستعدين، فأخرج «محمد» من حقيبته المدرسية ورقة كتب فيها أرقام من واحد حتى خمسة، وقطعهم في مقاسات متساوية ثم طبق الورق ووضعه في كوب وحركه أكثر من مرة وسكبه على الأرض وتركهم يختارون أرقامهم وسيأخذ هو أخر ورقة حتى لا يتهمه أحدهم بأنه يحتال عليهم وكان ترتيب الأرقام كالآتي:

«علي» أخذ رقم واحد فاصطبغ وجهه باللون الأحمر خوفاً، وجف ريقه رعباً، ووقع الدور الثاني على «محمد» والثالث على «مينا» والرابع على «وائل» والخامس على «إبراهيم» الذي ارتخى على الأريكة وأشعل السيجارة الثانية..!

علق «محمد» الحبل وأتي «علي» ب تي شيرت قديم يخصه من الداخل ليلفه حول عنقه ووضعوا أحد

الكراسي أسفل الحبل ثم صعد «علي» على الكرسي بدون أعصاب، فالخوف قد تملكه فهو الآن يعرف شعور المحكوم عليهم بالإعدام..!

وضع الحبل حول عنقه فوق ال تي شيرت الملتف حولها ثم نزل بهدوء (ثم قفز بهدوء) من على الكرسي وبمجرد أن ضغط «محمد» زر تشغيل «التايمر» (ولم تمر ثانيتان) حتى تحرك «علي» بعصبية وأشار بيديه ثم بدأ يتملص ويمسك الحبل بيده، فلم يستطع أن يتحمل أكثر من هذا..

رفعه «إبراهيم» ثم وضعوا الكرسي تحت قدميه، وأنزلوه ولم يبرحوا من السخرية منه ومن قوة تحمله قبل أن يردد «إبراهيم»:

- « أنا مش عارف انت منسحبتش بكرامتك ليه يا ابني، هو مش «محمد» قالك ان اللعبة ديه للرجَّالة بس؟..! »

فضحك الجميع وتخضب وجه «علي» بحمرة الخجل قبل أن يصرخ فيهم:

- « وروني يا رجالة انتو هتعملوا ايه فوق، أصل الكلام مفيش أسهل منه، إنما الفعل والواقع حاجة تانية، وده اللي هتشوفوه لما يجي الدور عليكم»

شمر «محمد» قميصه وأخذ ال تي شيرت من «علي» قائلاً:

- «يابني اللعبة مبتتلعبش كده، انا هوريك اللعبة ديه بتتلعب ازاي حالا، وهحقق أعلى رقم مفيش حد منهم كلهم هيكسره، أصل الرهان على صباع حشيش، مش باكو بسكويت، انا بس كل اللي خايف منه اني أثبت كلامهم انك مش راجل، ووقتها هيبقى فيه كلام تاني...!»

استهزاءً ضحك الجميع ورد «علي» بغضب:

- « وريني يا كسبان هتعمل إيه، ولو راجل كمل دقيقة واحدة بس فوق، وانا اجيبلك صباع تاني على الصباع

اللي هتكسبه لما تكسب في المشمش، يابني صدقني الكلام سهل..!»

لم يرد «محمد» عليه فقد قرر أن تتحدث أفعاله لا أقواله فصعد على الكرسي دون خوف، ولف قطعة القماش حول عنقه ثم دخل في حبل المشنقة وكله إصرار ألا يحطم احد رقمه القياسي في تلك اللعبة، وبالفعل نزل من علي الكرسي ومرت اللحظات الأولى ولم يشر لهم فكل ما يدور في خلده في هذه اللحظة سخريتهم من «علي» والتي لن يتحملها شخص حار الدماء مثله..!

لا يستطيع أن يأخذ أنفاسه ..

ولكن لا، لن يكون أضحوكة الشلة ك»علي»، سيتحمل ..

الأكسجين ينفد من جسده ويتخضب لونه باللون الأزرق..

ومع ذلك لم يحرك ساكناً..

فالعِند سيد الموقف..!

فقد السيطرة ..

ومع ذلك لم يشر ..

هذا ليس وقت العناد ..

ملاك الموت يقف بجانبك ليحصد روحك اللعينة ..

أشر بالله عليك، سيقتلك عِندك ..

ولكن ما من مجيب ..

من قال العِند يولد الكفر، بل هو في تلك الحالة يولد الموت..!

وحين شعر أنها نهايته حاول أن يشير لهم أن ينزلوه، ولكن بعد فوات الأوان فقد بدأ يتسرب منه الوعي ..

لا يستطيع أن يحرك حتى إصبعه ..

وبعد هنيهة لاحظ الجميع سكونه التام ..!

بدأوا في التحرك لإنقاذه ..

رائحة التوتر تفعم الأنفاس ..

الأدرينالين يحتل المكان ..

الخوف يملأ القلوب ..

والرعب يقفز من العيون..!

وبمجرد أن أنزلوه ..

تملك الخوف قلوبهم فلم يستطيعوا أن يروا إن كان يتنفس أم لا، فظنوا أنه صار جثة هامدة بلا روح ..!

نظروا إلى بعضهم البعض قبل أن يترك «وائل» لساقه العنان وخلفه «على» و«مينا» وكان «إبراهيم» هو الأخير الذي لم يستطع أن يستوعب حتى هذه اللحظة ما حدث، فقد كان «محمد» منذ لحظات معهم مفعم بالحياة والحيوية، والآن أصبح شأنه شأن المنضدة المسجاة عليها جثته..!

هرول إلى الباب وأغلقه خلفه حين لمح المفتاح في الباب، فأخذه ووضعه في جيب سرواله في حركة لا إرادية منه..

ركبوا السيارة جميعاً وكان الصمت هو الراعي الرسمي لجلستهم يشاركه الخوف، والتوتر الذي أحتلهم..!

في أي جحيم ألقوا بأنفسهم، وأي كارثة تلك التي وقعوا بها..!

***

(9)

مفاجأة

ظلوا في صمت قرابة ربع الساعة، مرت عليهم دهراً كاملاً قبل أن يكسر «علي» الصمت قائلاً:

- «هنعمل إيه في المصيبة ديه..؟!»

قالها ولم يسمع رد منهم، فقط الدموع ترقرقت في عين «مينا»، و«إبراهيم» على موقفه من الصمت قسراً يحاول استيعاب ما حدث، وعِنداً يأبى عقله تقبل الفكرة.!

قال «وائل» محاولاً تأجيل الكارثة وكسب بعض الوقت:

- « احنا دلوقتي مش في وعينا، والصدمة مش مخلية حد فينا عارف يفكر كويس، الحل الوحيد ان احنا نلم كل حاجة دلوقتي من الشقة ونشيل بصامتنا من كل مكان، وكل واحد مننا يرجع بيته وكأن محصلش أي

حاجة، ولما نهدا ونفوق من الحشيش والصدمة هنقدر نفكر كويس ونلاقي الف حل، إنما احنا دلوقتي أي خطوة هناخدها او أي حاجة هنعملها مش هتصلح شيء، بالعكس ديه هتزود الطين بلة..!»

حين صمت الجميع بعد كلمته أعتبر صمتهم اقتناع وسكوتهم موافقة، فاستطرد:

- « هنتقابل بكرة كلنا في المدرسة، نكون هدينا وفكرنا كويس، وكل واحد يعرض فكرته وأكتر فكرة منطقية ونقدر ننفذها هنّفذها كلنا، يلا بينا ..!»

بدت فكرة «وائل» في هذا الوقت، الأكثر عقلانية، رغم «نذالته» فنالت استحسان الجميع نسبياً فكما يُقال دائماً «للغد رب كريم..»...

وبالفعل وضع «علي» المفتاح بالسيارة وأدارها ليصدر الموتور صوته، وبقدم مرتجفة قاد السيارة وبدأوا في التحرك، كلٌ منهم مشتت الذهن، يتمنى لو انشقت الأرض وبلعته أو أن يموت قبل حلول صباح الغد..!

عاد كلٌ منهم إلى منزله وعلى وجهه أعتى أمارات الهلع، فظن الأهالي أنها نتيجة قرب الامتحانات، حتى أن والد «وائل» لم يعاقبه حين رأى ملامح وجه «المخطوفة» على حد قوله وتركه يخلد للنوم، ولكن النوم أبى أن يزور الشلة في هذا اليوم، فقد كانوا ينتظرون شروق الشمس بفارغ الصبر حتى يروا ما سيسفر عنه الغد..!

وفجأة تذكر وائل شيئاً..

كيف لم يلحظ أحد من بيت «محمد» غيابه كل هذا الوقت؟!، فمن الطبيعي أن يحطم أهله هواتف أصدقائه عندما يلحظوا غيابه، وهذا ما جعل الأمل يشرق مرة أخرى عند «وائل» فأتصل ب»علي» ليجده مستيقظاً هو الآخر ورد على الهاتف قبل أن تنتهي الرنة الأولى (على غير عادته) فقال له ما دار في ذهنه ليحبطه «علي» قائلاً:

- « بس «محمد» قايلي انه قاعد لوحده في الشقة علشان امه راحت انهارده عند اخوه وهتبات عنده

يومين، يعني محدش هيلاحظ غيابه غير بعد يومين، بس استنى لما امه تكلمه في التليفون وميردش اكيد هتتصل بحد فينا!! تفتكر كلمت «إبراهيم» أو «مينا» تسألهم عليه ..؟»

قال له «وائل» محبطاً:

- « ربنا يستر ويعدي الليلة السودة ديه على خير بقى، ديه كانت لعبة سودة .. انا هروح اتصل «بمينا» و«إبراهيم» اشوف ام «محمد» كلمتهم ولا لأ، ولو كلمتهم قالولها إيه لحسن يعكوا الدنيا»

وبمجرد أن أغلق المكالمة مع «علي» أتصل «بمينا» و«إبراهيم»، والغريب إن والدة «محمد» لم تتصل بهم حتى الآن، وهذا أشاع الأمل مرة أخرى ..

في اليوم التالي اجتمعوا في فصل فارغ في المدرسة يستمعون لما توصلوا إليه وآثار عدم النوم جلية على وجوههم ليقول «علي»:

- «إكرام الميت دفنه، «ومحمد» مش غريب عننا، ده أقرب شخص لينا ومش معقول هنسيبه يتحلل هناك لحد ما ريحته تطلع، لازم يرتاح انهاردة في تربته، احنا لازم نحكي لأهالينا على كل اللي حصل، وأكيد هنقص الجزء بتاع الحشيش من القصة، وهما هيعرفوا يتصرفوا أحسن مننا بدل ما حد مننا يلبس تهمة ولا مصيبة، لازم المرة ديه نحكي لأهالينا كل شيء بصراحة ونتحمل نتيجة اخطائنا ولو لمرة واحدة في حياتنا..!»

رد عليه «مينا»:

- « ده برضه اللي فكرت فيه، لازم ندفن محمد ونحكي لأهالينا كل حاجة بصراحة، فالرب يغفر للمعترفين..!»

فكر «إبراهيم» ملياً قبل أن يردف:

- «ياريتها تيجي على علقة من أهل كل واحد فينا والموضوع يتحل، الموضوع المرة ديه أكبر مننا بكتير، أولا جثة «محمد» هتتشرح وهيعرفوا انه كان شارب

حشيش، وبالتبعية أهالينا هيعرفوا اننا بنحشش، ديه أول مصيبة، المصيبة التانية، هاتلي حد هيصدق انها كانت لعبة .. البوليس مش هيقتنع اننا كنا بنلعب أصلاً وهتبقى جريمة قتل، يعني لو ملبسناش البدلة الحمرا هنقضي باقي عمرنا في السجن .. حد منكم مستعد يتعدم ويلعب اللعبة المهبة اللي لعبناها امبارح في الحقيقة، بس¬ لما هيشاور لعشماوي انه مش قادر يستحمل عشماوي مش هينزله، واهو نتقابل كلنا مع «محمد» في جهنم ونونس بعضنا..!»

أخرج «وائل» سيجارة وأشعلها، غير مبالياً بالرفت الحتمي إذا أمسك به أحد المدرسين يدخن في المدرسة، ثم نفث دخانها وقال:

- «إبراهيم» صح، الموضوع كبير قوي يا جماعة، ومهما حاولنا نشيل بصاماتنا من هناك هنلاقيها في كل مكان، وأكيد البوليس هيعرف اننا كنا معاه في اليوم المشئوم ده، واللعبة هتبقى جريمة قتل وهنروح كلنا في داهية، ومش بعيد نموت نفس موتة «محمد» وف أحسن السيناريوهات، أبو «علي» هيروح في داهية

علشان المصيبة حصلت في شقته اللي بأسمه، ووقتها هيعترف علينا وخاصة انه قفشنا كذا مرة بنحشش هناك!»

أخرج «علي» عبوة تبغ من جيب سرواله وأشعل واحدة وأعطى واحدة «لإبراهيم» ونفث توتره مع دخان السيجارة قبل أن يردف:

- « مش معقول ابويا هيبيعني ويسلمني للبوليس ..!»

أشعل «إبراهيم» السيجارة والتهم ربعها في نفس واحد من فرط التوتر ورد عليه:

- « يا روح ما بعدك روح، أمال هيودي نفسه في داهية، هيبيعك ويبيعنا كلنا بس انت موقفك الأحسن فينا، عالاقل أبوك معاه يجيبلك محامي محترم يقللك العقوبة..!»

ارتسمت ملامح الهلع على وجه «علي» وهو يتخيل شكله بالبدلة الحمراء وحبل المشنقة ملفوف حول رقبته فسالهم:

- « طب والعمل، ماهو لازم يكون فيه حل للمصيبة ديه..!»

رد عليه «وائل» محاولا التماسك:

- « الحل موجود بس صعب، صعب جداً ورغم صعوبته مفيش غيره، بعد المدرسة هناخد عربية امك يا «علي» ونطلع عالشقة، ناخد جثة محمد وندفنها في أي حتة عالصحراوي، وبكده عمر ما حد هيلاقيها، ولو حد لاقاها بعد كده هنكون فوق مستوى الشبهات وبعاد كل البعد عن الجريمة ديه، وبعدها احنا بنفسنا هنروح لام «محمد» بيت اخوه نسألها عنه علشان غايب بقاله يومين ومبيردش عالتليفون ولا بيفتح لحد الباب وندور عليه معاها زي المجانين، وطبعا مش هنلاقيه .. بس هي هتبقى على أمل انها هتلاقيه، ونبقى نسأل عليها من وقت للتاني علشان العيش والملح برضه..»

رغم دناءة تلك الفكرة، إلا أنها أصبحت الحل الوحيد للهروب من حبل المشنقة الذي سيطاردهم في أي

مكان، وقد جرب «علي» هذا الحبل تجربة عملية، وكان قاسي بحق..!

فهذه المرة لن يكون حبل المشنقة لعبة، بل سيكون واقعاً لن ينقذهم منه أي إشارات..!

على مضض وافقوا جميعاً على فكرة «وائل»..!

انتهى اليوم الدراسي وكان اليوم الدراسي الأطول على الإطلاق منذ بداية عهدهم بالمدرسة، فقد مر كقرن .. وأكثر..!

بعد أن انتهى ضجيج الطلبة الفرحين بانتهاء اليوم الدراسي خرجوا جميعاً لتصرعهم المفاجأة التي رأوها أمامهم...

لقد وجدوا «محمد» مستنداً على سيارة «علي» في انتظارهم..

لم يستطيعوا الحديث لبرهة فتسمروا في أماكنهم في صمت تام لم يقطعه سوى صوت «محمد» قائلاً:

- « يا أهلاً يا أهلاً بالجبنا الأربعة، إيه يا جماعة هو انا الراجل الوحيد في الشلة ديه ولا إيه ، بس يلا مش مهم، وزي ما هو متوقع كسبت التحدي، وانتم أثبتم انكم مش رجالة أصلاً، يعني جبنا وأندال فيه كده؟!!!، واضح ان وائل عداكم كلكم، بقي يا أندال تسيبوني مغمى عليا وتروحوا من غير ما حد فيكم يسأل فيا، وانا افضل لحد الفجر مش لاقي مواصلة تروحني وتليفوني كان فاصل شحن مش عارف اتصل بحد فيكم.!»

***

(0)

كان الملل قد بلغ منهم مبلغه حين قال أحدهم:

- « يجب أن نكسر هذا الروتين الممل بلعبة خطيرة..!»

هنا استطاع أن يلفت أنظار كل أفراد الشلة إليه حين قال:

- « سنلعب لعبة التجسيد..!»

ليرد عليه أحدهم قائلاً:

- « ولكن تعرف جيداً عقوبة التجسد، قد.....

ما هذا؟!، هذا ليس الوقت المناسب لذكر تلك الأحداث، سنعود إليها مرة أخرى، ولكن الآن اتركوني أستكمل لكم ما حدث ل»محمد» وشلته.!

ما هذا الفصل وماذا تعني تلك النقاط التي حلت مكان عنوان الفصل وماذا يعني بالفصل «صفر» ..؟!

ألم أخبرك أني امقت الأسئلة، سأخبرك كل شيء في حينه..!

***

(10)

لعبة جديدة

ظل الجميع في مكانهم لا يستطيعون أن ينبسوا ببنت شفة ..

وحين استعادوا رشدهم الذي تفرق حُزَماً سأله «علي»

- « انت ازاي لسا عايش،آآآ مش قصدي .. انا اقصد انت ازاي فوقت من اللي حصل امبارح؟ احنا كلنا فكرناك مًت ..!»

ضحك «محمد» ساخراً ورد عليه:

- «يعني يوم ما اموت هموت في لعبة انا اللي استفزيتكم علشان تلعبوها!، انتو هبل يا جدعان، انا فجأة لقيت الدنيا بتسود في وشي ومش قادر اشاور، وبعدين محسيتش بأي حاجة حواليا غير واحد منكم بينزلني من عالحبل، أول ما الهوا دخل صدري حسيت اني بغرق في بحر اسود، ولما صحيت عالفجر كده

ملقتش ولا واحد منكم، وتليفوني كان فاصل شحن، قعدت ساعة ادور على مواصلة لحد ما واحد ابن حلال خدني معاه وطلعني عالطريق..!»

فرحوا جميعاً وهللوا بعودته، وانفرطت دمعة من عين «مينا» لم يستطع منعها وهو يحتضن «محمد» فرحة برجوعه إليهم سالما في حين ردد «وائل»:

- « احنا مهربناش احنا روحنا كلنا نجيب الإسعاف، ولما رجعنا لقيناك مش موجود، قلوبنا كانت هتقف من الخوف عليك والله يا «محمد»، حمد الله على سلامتك يا صاحبي..!»

لم يستطيعوا أن يكتموا ضحكتهم على كذبة «وائل» الفجة التي بدا من نظرة «محمد» أنه اكتشفها فرد عليه قائلاً:

- «انا لو كنت مكانكم والله كنت ههرب انا كمان، علشان كده مش زعلان من ولا حد منكم، وبعدين محدش فينا كان في وعيه امبارح أصلاً، بس ده

ميمنعش ان ندالتك كل مادا بتعدي الحدود، انت دخلت موسوعة جينيس في الندالة ياض، انا بعد كده هسميك «وائل» ليشع الصهيوني..!»

ضحك الجميع وهشّت الوجوه وبشّت مرة أخرى بعودة محمد إليهم، و بعد الكثير من الأحضان ذهبوا إلى المقهى الذي اعتادوا أن يجلسوا فيه وطلب كلٌ منهم نارجيلة، حتى «مينا» (الذي كان قد أخذ قراراً بعدم الاقتراب من التدخين) طلب معهم نارجيلة «تفاح» احتفالاً بعودة محمد، ولإشباع رغبة تلح عليه بأن يتذوق طعمها، فلطالما راقت له رائحتها، ليعلق «وائل»:

- « هو إيه اللي حصل في الدنيا وغيرك يا عم «مينا»، شيشة مرة واحدة!، احنا عدينا خالص، بس مش كنت تطلب شيشة «قص» أو حتى «سلوم» بدل الشيشة الفواكه الحريمي ديه، بس مش مهم، كلنا بدأناها بتفاحة بكرة توصل للقص لفل الوحش..!»

ضحك الجميع ورد عليه «محمد» قائلاً:

- « سيبه يشرب اللي هو عايزه يا سخيف، وبعدين انتوا بالذات متتكلموش عن البنات انهاردة ، آه صحيح بالمناسبة كلمة بنات فكرتني .. عندي انهاردة حتة دين لعبة، للرجالة بس، يعني بلس تمنتاشر، شلتنا لسا خمس رجالة ولا الخضة مخلتش فيها راجل غيري؟ »

ساد الوجوم الشلة فهم لم يسنوا بعد تجربة المشنقة التي مروا بها .. وقد لاحظ «محمد» بذكائه المعهود هذا، فاستطرد كلامه ليثير حماستهم قائلاً:

- « نقرا الفاتحة على رجولة الشلة، إيه يا جدعان، هو كلكم بقيتوا جبنا زي «علي» وأندال زي «وائل» ولا إيه، محدش فيكم ناوي يبقى راجل وشجاع زي «محمد»، هو البيض الممشش، على رأي امي بيتدحرج على بعضه ولا إيه..!»

ثار «علي» بعد كلمته وانتابته موجة غضب ورد عليه قائلاً:

«انا مش جبان يا محمد، ومش هسمحلك تشكك في شجاعتي أو رجولتي، انا أشجع وأرجل منك، كل ما في الموضوع ان جسمي كان تقيل قوي عالحبل، فمعرفتش اتحكم، وكنت انا أول واحد في الشلة يلعب اللعبة فطبيعي اني ابقى اقل وقت، وعلشان اثبتلك اني مش جبان زي ما انت متخيل أو زي ما كلكم فاكرين انا معاك في اللعبة الجديدة مهما كانت خطرة وانا اللي هلعب الأول من غير قرعة وانا اللي هكسبك فيها كمان..!»

ابتسم «محمد» لموافقة «علي» ودار بنظره في أعين الجالسين يسألهم:

- « طيب ادي «علي» معانا، فيه حد منكم عايز ينسحب من اللعبة يقول من دلوقتي، احنا مش هنضرب حد على ايده، وبالمناسبة لعبة انهاردة متقلش خطورة عن اللعبة اللي فاتت ده يمكن أصعب منها كمان، فاللي مش هيبقى راجل يروح من أولها، مين منكم معايا يا رجالة ..؟!»

قال كلمة «رجالة» بطريقة لم تسمح لأحد بأن يعتذر، خاصةً بعد أن وافق «علي» .. فلن تسمح كرامة أحدهم برفض شيء وافق عليه «علي»، فكما هو شائع بينهم «علي» الأقل شجاعة فيهم فكيف يرفض أحدهم ويأخذ مرتبة «علي».!!

استمرت ابتسامة «محمد» الغامضة على وجهه وأردف:

- لعبة انهاردة عايزة مكان هادي جداً، وأكيد مش هنلعب في بيت «علي» اللي في أكتوبر، انا خلاص اتشائمت منه بعد ما كنت هموت هناك وانتو سيبتوني وجريتوا ومكنتش عارف اروح، وبصراحة مش عايز اروح هناك تاني، انا مخنوق من المكان خنقة ومن أكتوبر كلها، والله انا شوفت ليلة سودا هناك علشان ارَوَح »

وافقه الجميع الرأي من ناحية التشاؤم، فقد استطاع بكلماته أن يجعل من هذا المنزل تابو taboo _أي

مكان محرم_ بالنسبة إليهم، فصار رمز شؤمٍ لكل الشلة، ولكن بادره «علي» متسائلاً:

- « أيوة، طالما مش هنلعب في شقة أكتوبر، هنلعب فين يعني، في شقتي اللي هنا واجيب ابويا يلعب معانا ..؟!

رد عليه «محمد»:

- « لا يا ظريف مش عندكم، هنلعب عندي في البيت، الشقة عندنا فاضية وبلّيل مبتسمعش صريخ ابن يومين، وامي مش هترجع غير بعد يومين، وابويا لسا بدري على أجازته، يعني مفيش احسن من كده..!»

نادى «إبراهيم» على أحد العاملين في المقهى ليغير له حجر النارجيلة ثم سأل «محمد»:

- « وإيه المصيبة اللي انت جايبهلنا المرة ديه، هنولع في نفسنا وآخر واحد هيتطفي هو اللي هيكسب، ولا هنشرب سم وآخر واحد هيموت هو اللي هيكسب ..؟!..»

ضحك الجميع ثم رد عليه «محمد» وهو يضع حساب ما احتساه على المنضدة وينهض:

- « لعبة «ماري الدموية»، هستناكم بليل عندي في البيت ولما تيجوا هقولكم كل التفاصيل عنها وازاي بتتلعب، ومتخافش يا عم «إبراهيم» لا حد هيشنق نفسه ولا يولع في نفسه ولا هنشرب سم، الموضوع أبسط وأصعب من كده بكتير، علشان كده بقولها تاني اللي هيخاف منكم يفضل في البيت ميجيش، السرير هيبقى مكان أأمن وأدفى ليه، ويشغل أغنية ماما زمانها جاية ويشرب اللبن وينام..!»

قال كلمته ورحل ليستعد للّعبة الجديدة وتركني في فضولي أريد معرفة كنه تلك اللعبة فلم أجد أمامي سوى سيدة الحكمة في عالمي كيثا كبرثا «الأم مارسا» فذهبتُ إليها لأجدها جالسة جلسة القرفصاء المعتادة تتأمل اللاشيء..

خررتُ ساجدة أمامها ففتحت عينيها وابتسمت لي قائلة:

- « شيراز المختارة، كيف أحوالك يا بنيتي في حياتك الجديدة..؟!»

تأملتُ ملامح تلك المرأة، وأردت لو أن أعطي الذي نعتها بكيثا كبرثا جائزة أفضل تشبيه، فهي حقاً جبارة، لا أدري لماذا دائما تذكرني بالبومة، لا لا تتسرع في فهمي، لا أقصد البومة من مفهومك ضيق الأفق، فأنا أقصد تشبهها في الثبات والرصانة والحكمة، عندما أراها لا أتذكر سوى رجاحة عقل اليونانيين القدامى في جعل البومة رمزاً للحكمة..!

حكيتُ لها تفصيلاً عن أخباري وحجم استمتاعي بعالمي الجديد، ثم قررت ألا أضيع وقتها الثمين أكثر من ذلك فسألتها مباشرة عن «ماري الدموية»..

***

(11)

ماري الدموية

أغمضت «الأم مارسا» عينيها _كعادتها عند الحديث _ وبدأت تعطيني كئوساً من نهر حكمتها، ومع حديثها كنت أرى ما تحكيه أمامي تماما كمشاهدة التلفاز..

قالت بصوتها الرخيم:

«ماري الدموية»، لقد تعددت الأقاويل في هذا الصدد، البعض يظنها «ماري تيودرMary Tudor» تلك الملكة الإنجليزية السادية التي حكمت انجلترا ولندن ((برجاء التأكد من كلمة «ولندن) وحرقت في عهدها أكثر من ثلاثمائة شخص بتهمة الهرطقة، وعلى الرغم من كم الثورات التي قامت ضدها إلا أنها استطاعت أن تخمدها كلها بالعنف حتى أطلق عليها «ماري الدموية»، وعلى الرغم من قوتها إلا أنها كانت تملك نقطة ضعف، وهي اشتياقها لأبنٍ يخلفها على العرش، ولكن الله لم يرزقها بولد حتى توفيت وتركت العرش

لأختها، ومن هنا أخترع المراهقون لعبة «ماري الدموية» أنا قتلت أطفالك..

كنت أرى ما تقوله فعلياً أمامي، فقد تجسدت أمامي تلك الملكة طويلة القامة بيضاء البشرة تعقص شعرها ولها نظرة حادة، وكل المجازر التي قامت بها، رأيتها رؤى العين..!

استطردت الأم مارسا قائلة:

هذه حكاية، وهناك حكاية أخرى تقول بأن تلك ال «ماري» هي «ماري أنطوانيت» ملكة فرنسا السابقة، ولكني حضرت عهدها بالكامل، وأكاد أجزم بأن كل ما نسب إليها وإلى عائلتها ما هو إلا افتراءاتٍ هي بريئة منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب، لذلك استبعد تلك الحكاية تماماً ول«ماري أنطوانيت» حكاية طويلة سأحكيها لكي يوماً، وهناك قصة أخرى عن امرأة تدعى «ماري» كانت موجودة منذ أكثر من مائة عام، قُتلت بشكل وحشي عن طريق تشويه وجهها وتركها تنزف حتى الموت، مما أغضب روحها وجعلها تجول العالم

لتبث الرعب في القلوب، وحكاية أخرى قالت أن «ماري الدموية» هي امرأة شابة كانت تحلم بطفل طوال عمرها، وحين رزقها الله بطفلٍ سُرق منها، فانتحرت قاطعة يدها اليسرى، مما يجعلها تظهر في صورة شابة مقطوعةٌ يدها اليسرى وفي يدها اليمنى سكين، أما الحكاية التي تعد أقرب للواقع من وجهة نظري هي تلك التي سأحكيها لكي الآن، وهي تقول بأن ماري الدموية هي ساحرة من شمطاوات العصور الوسطى، كانت تمارس السحر على الفقراء والفلاحين فتقتلهم وتفرق بينهم وتبث الحقد في قلوبهم لتستمتع بعد ذلك بما يحدث، لم تنجب سوى طفل واحد بعد عناء، وقد كلفها هذا الطفل رحمها، مما جعلها تحافظ عليه كقرة عينها، ولكن عرف أهل القرية بأمرها وقد اجتمعوا في يومٍ ليتخلصوا منها فانقضوا على منزلها وبعد الكثير من العنف والدماء استطاع الرجال الدخول عنوة إلى منزلها، لكنهم لم يجدوا لها أي أثر .. لكنهم بالتأكيد لم يرتضوا أن يعودوا بخفي حنين، فقد أخذوا أبنها الرضيع وحرقوه أمام الحشود المجتمعة، فعلوا به ما لم يستطيعوا فعله بأمه الساحرة .. وقال

بعضهم أن النيران حينما امتدت إلى الطفل وتعالت صرخاته، سمعوا صوت صرخة عالية آتية من كل مكان حولهم، وبدا كأن السماء قد تحول لونها إلى لون الدم، ومن بعدها حل العذاب على هذه القرية، فقد وجدوا في اليوم التالي أن جميع أطفال القرية مقتولين ومشوهي الأوجه وأمامهم مرآة محطمة..!

ومن وقتها انتشرت الأساطير ومعها تعددت الحكايات كما أخبرتك، فلو أردت أن أحكي لكي سنة عن نساء متهمات عبر التاريخ بأنهن «ماري الدموية» فلن أنتهى، ولكن إذا جمعنا العوامل المشتركة سنجد أنها امرأة تُدعى «ماري» فقدت طفلها، وتأتي في المرآة إذا رددت أسمها أكثر من مرة، العجيب في الأمر أنه لا يوجد استدعاء حقيقي لأي شخص من عالمنا عن طريق الوقوف أمام المرآة والنداء، حتى لو أستمر المنادي في النداء إلى يوم القيامة.! ، يبدو أن في أغلب الحوادث يكون مراهق من مراهقي الجن يعبث مع اللاعب ليستمتع بإثارة هلعه..!

تعجبت أكثر وسألتها:

- « وما هي تلك اللعبة وما الذي يدفع بني أدم للعبها.؟!»

صمتت هنيهة ثم فتحت عينيها وردت علي قائلة:

- « هي لعبةٌ يقف فيها المراهق أمام المرآة وينادي على «ماري» تلك فتظهر له، والدافع وراء لعبها إما اختبار الشجاعة أو إشاعة تقول بأن اللاعب يرى زوجته المستقبلية..»

قالت كلماتها المقتضبة وصمتت بعدها، فعلمت أنها لن تعطيني المزيد، فقد أخبرني «دهّار» ذات مرة أن الأم مارسا حين تود الامتناع عن الحديث في موضوع ما تختصر كلامها وتقتضب معلوماتها..

تركتها وذهبت لأرى ما سيفعله «محمد» وشلته مع تلك ال«ماري»..!

***

حين دقت الساعة العاشرة كان الجميع مجتمعين في شقة «محمد»، قدم لهم «محمد» كئوس بها مياه غازية ثم بدأ يشرح لهم قائلاً:

- « المرة ديه مش هتكون لعبة بالمعنى الحرفي للعبة، اللعبة بتاعتنا انهاردة هي أسطورة أجنبية، بيلعبها أغلب المراهقين الأجانب، اسمها «ماري الدموية bloody Mary» .. »

صاح به «علي» قائلاً:

- « آه عارفها ، انا شوفت فيلم بالاسم ده قبل كده ..!»

ليرد عليه «إبراهيم»:

- «وأنا برضه شوفت الفيلم، البت اللي فيه اللي بتستحمى بالدم ديه كانت كرباج يخربيت جمال امها ..!»

فعقب «مينا» على كلامهم قائلاً:

- « بتستحمى بدم ويخربيت جمال أمها، يخربيت ذوق امك انت يا شيخ، انا قريت رواية عنها وعارف الأسطورة طشاش كده..!»

صمت محمد فترة حتى ينتهوا من حديثهم، ثم أردف بلهجة يتخللها الغضب:

- «إيه، كلكم بقيتوا خبرا في ما وراء الطبيعة، قاعد مع نسخ مصغرة من دكتور «أحمد خالد توفيق»، وأستاذ «مينا» اللي مبيقراش كتب مدرسته بيقولي قريت أسطورة عنها، طب ما تتكلموا انتوا وانا اسمعكم بقى طالما كلكم عارفينها كده»

أغرقت موجة الصمت الشلة، وعم الهدوء ليعود «محمد» إلي هدوءه ويستكمل حديثه:

- « بما أنكم جميعاً شوفتوا الفيلم وقريتوا الأسطورة فمش هضيع الوقت واحكيلكم قصص «ماري الدموية»، وهي كتير أصلاً ومحدش عارف الحقيقي منها، انا هكلمكم عن اللعبة مباشرة..

احنا ممكن نلعب اللعبة ديه بأكتر من طريقة، ممكن تمسك شمعة بإيدك اليمين ومراية بايدك الشمال، وتنزل السلم في الضلمة بضهرك وانت بتقول:

«bloody Mary .. I killed your baby»

بس وقوعك من عالسلم وتكسير دماغك أمر وارد جدا لو مكنش أمر حتمي، علشان كده هنلعبها بطريقة أكتر أمان وسلامة من ديه، «علي» هيخش الحمام ويحط الشمعة اللي قدامه ديه على الجانب الشمال من المراية، ويولعها طبعا، علشان عارف «علي» وغباوته ممكن يحطها مطفية، فيه ناس بتقول الأفضل شمعتين، بس شمعة أو شمعتين واحد، بعدها هيطفي النور وباب الحمام، ويعتمد على ضوء الشمعة فقط ويردد

«bloody Mary .. I killed your baby»

13 مرة، هيبدأ بصوت واطي وبعدين الصوت يعلا بالتدريج..

وبعد أن استطاع جذب انتباههم كذبا قال موجها كلامه ل»علي»:

- «في المرة التلتاشر هتظهرلك صورة مراتك في المستقبل..!»

ولكن الحقيقة أن ما سيراه لن يجعله يرى الحياة كما كان يراها من قبل، فكل من جرب تلك اللعبة قال إنه رأي وجه الشيطان ومنهم من قال إنه رأي وجهاً مرعباً ..

لا يهم ماذا حدث للسابقين..

فكلها حكايات مسموعة منهم، الآن سنرى ما سيحدث في الواقع

و التجربة ستحكم إن كانت «ماري الدموية» خرافة أم حقيقة..!

***

(12)

الرجل الثاني

دخل «علي» الحمام والخوف قد بلغ منه مبلغه، ولكنه يخفي هذا، عبثاً يظن أنه قد حسب خطواته جيداً ولكنه لا يعرف ما هو مقبل عليه، فهو على وشك القيام بتجربة لم يعتد عليها من قبل، والأخطر من هذا أنه لا يدري عواقبها الوخيمة ..

تلك اللعبة السخيفة التي ستحدد منحنى رجولته في نظر الشلة، إن كان سيرتفع إلى السماء أم سيتخذ البورصة مثالاً له ويسقط به للأرض..

إنها أخطر من لعبة المشنقة اللعينة، فالمشنقة كان يعرف ما هو مقبل عليه، أما الآن فهو لا يعرف شيء، قسراً مد يده وأطفأ النور، لتظلم الدنيا تماماً، ثم بيدٍ مرتعشة أخرج القداحة من جيب سرواله وأشعل الشمعة التي أخذها من «محمد» ثم ألصقها على الجانب الأيسر من المرآة..

إن الجو موحٍ بأشياء كثيرة بالتأكيد، لكنه سيحاول أن يتغاضى عن كل تلك الخيالات، وفي قرارةِ نفسه يتمنى أن تنجح محاولته تلك في التغاضي عما يُسببه ضوء الشمعة من تأثيرات على نفسه..!

ضوء شمعة مقيت..

مرآة..

حمام..

ثلاثة أشياء كفيلة بأن يصاب بالجنون ويتوقف قلبه هلعا من خيالاته اللعينة قبل أن يبدأ حتى في التجربة، فعقله لا يفتأ يصور له أشكالاً مرعبةً في المرآة، ولكنه تناسى كل هذا وقرر أن يبدأ التجربة..

سيثبت للجميع أنه رجل وستجزم الشلة كلها بشجاعته..

نظر إلى المرآة بعين يقفز منها الخوف، فرأى انعكاس صورته المهتزة على ضوء الشمعة على سطح المرآة،

صورته تهتز على الضوء الأحمر، تماماً كنفسيته، والشمعة تحترق، تماماً كأعصابه، ولكنه سيفعلها..

«ماري الدموية» أنا قتلت أطفالك ..

هل يجب أن أقولها بالعربية أم الإنجليزية ؟!..

إنه سؤال محير، كان يجب علي التفكير فيه قبل أن أصل إلى تلك المرحلة ..

لكنى أعتقد أني يجب أن أقولها بالإنجليزية..

بعد كل شيء فإن «ماري» تلك بالتأكيد لم تكن تتحدث العربية..

كان هذا لسان حال «علي» قبل أن يبتلع لعابه، ثم يبدأ بصوتٍ كالفحيح قائلاً

«bloody Mary .. I killed your baby»

ثم بدأ الصوتُ يتصاعد تدريجياً باستمرار رغماً عنه، مثل مغنى الكريشندو الأوبرالي على المسرح

«bloody Mary .. I killed your baby»

يتعالى الصوتُ أكثر في انعكاس حقيقي لتوتره، فكلما توتر كلما صرخ أكثر

«bloody Mary .. I killed your baby»

يريد أن يبكي، تماما كالشمعة، ولكنه يحاول إخراج طاقته في الصراخ باسم تلك اللعينة

«bloody Mary .. I killed your baby»

لم يحدث شيء حتى الآن، مما بعث ببعض الطمأنينة إلى قلبه أن الأمر كله نفسي، ولن يحدث شيء فاستمر بالترديد

«bloody Mary .. I killed your baby»

ألعاب ضوء الشمعة مع الظل تكاد تصيبه بالجنون، فتحول صوته إلى نواح

«bloody Mary .. I killed your baby»

يتحول النواح إلى صراخ حقيقي

«bloody Mary .. I killed your baby»

هل ما يراه حقيقي ..!

هل تحول سطح المرآة للون الأحمر..!

بصوت يكاد يتغلب عليه البكاء

«bloody Mary .. I killed your baby»

إنها ألعاب ضوء الشمعة اللعينة

«bloody Mary .. I killed your baby»

في المرة العاشرة يتصاعد الصوت أكثر حتى يصبح عالياً للغاية وتردده الجدران من حوله معه..

«bloody Mary .. I killed your baby»

تصطك أسنانه وترتجف أوصاله وهو يصرخ

«bloody Mary .. I killed your baby»

يحاول أن يهدئ من روعه، ولكن تفشل المحاولة

«bloody Mary .. I killed your baby»

أخذ نفساً عميقاً علَّه يتمالك نفسه ويخفف من حدته؛ فهذه المرة هي الأخيرة ردد متمنيا بكل ما يجيد من تمني ألا يحدث شيء

«bloody Mary .. I killed your baby»

كانت تلك هي المرة الثالثة عشرة فصمت بعدها..

بعد كل هذا الصراخ، فإن هذا السكون أكثر رعباً من أي شيء يمكنه التفكير فيه..!

أنفاسه بطيئة وعميقة، وعيناه مركزتان على الأسفل، في محاولة لاستجماع شتات نفسه..

هذه هي اللحظة الحاسمة، هل ستمر مرور الكرام أم سيحدث ما لا تحمد عقباه؟..!

رفع عينيه ببطء، ونظر نحو المرآة، فلم يرَ شيئاً..

تنفس الصعداء، وقبل أن يزفر نفسه الذي شهقه للتو ظهر ما لا يجب أن يظهر..!

لا يمكن أن يكون ما يحدث حقيقياً ..

من أين جاء هذا الوجه غير واضح المعالم الذي يظهر في المرآة..!؟

يحاول أن يبعد نظره عن المرآة ولكنه لا يستطيع..

كيف يكون هذا حقيقي..!!

ما هذه البشاعة..!

لم يكن من المفترض أن تكون الأمور حقيقيةً إلى هذا الحد ..

لقد كانت مجرد لعبة..

لا صوت في حلقه للصراخ من هول ما يرى..

وفجأة نزفت حوائط الحمام دماءاً من كل مكان..

الحوائط تنزف ودمائها تلمس قدم «علي» ثم تجري على البالوعة..

توجه بنظره للباب ليهرب من هذا الجحيم المقيم..

لكن الباب اختفى تماماً..!!

تحول لحائط مثل باقي الحوائط ولا يكف عن النزيف..!

والمرآة بها أشد الوجوه رعباً وأكثرها قتامةً..

إنه وجه امرأةً ولكن تُغرقها الدماء، والعفن أكل معظم أجزاء هذا الوجه..

وجهها كله باللون الأخضر ..

أم أنها الإضاءة هي التي تلعب ألعابها..

يحاول أن يصرخ، ولكن مازال الصوت مكتوماً في صدره لا يريد أن يخرج، وكأن الصدمة أفقدته النطق..!

الصوت يتردد حوله بشكل مخيف

«bloody Mary .. I killed your baby»

ومعه كانت تقترب منه أكثر فأكثر، ولازال صوته رافضاً أن يطاوعه ويصرخ..

الصدمةً أقوى منه..

هل سيتحمل جهازه العصبي أكثر؟!. وسيكون العذاب أكثر حين يرى نهايته أم سيفقد الوعي؟!..!

لماذا لا يفقد المرء وعيه حين يريد؟!.

كان هذا ما يدور في خلده..!

ما رآه ويعيشه الآن لا يمت لعالمه بصلة..

وإنما بقعة من عالم آخر يجهل ملامحه ..

إنه الآن في جزء من «سقر»، بما تحمله الكلمة من معنى .

«bloody Mary .. I killed your baby»

الصوت يتردد بصداه المرعب

المرأة تقترب منه أكثر ..

فجأة يطلق الموقف عنان لسانه ليبدأ بالصراخ ..

يصرخ ويستغيث ..

ولكن لا حياة لمن تنادي ..!

ويصرخ بصوت أعلى ويدق الجدار الذي حل مكان الباب ..

ولكن ما من مجيب، وكأنه انعزل عن العالم بأسره..

«bloody Mary .. I killed your baby»

في الخارج، الصمت هو سيد الموقف، والهدوء هو الراعي الرسمي لجلستهم في انتظار ما ستسفر عنه اللعبة، الجميع ينتظر ما ستنجبه تلك التجربة، هل ستنجب معلومةً جديدة وهي أن ماري الدموية ليست

سوى «أمنا الغولة » لدى الغرب، أم ستنجب مصيبةً أخرى..!

لا صوت يصل إليهم، ولا أحد يشعر بالجحيم الذي وضع «علي» نفسه به، ولا يدرون بأي مأزق يمر الآن..!

والصراخ الذي يصم الآذان بالداخل لا يصل حتى حد الهمس في الخارج ..

الأمر أصبح مريباً ..

مريباً أكثر من اللازم ..

فقال لهم «وائل»:

- «علي» اتأخر قوي في الحمام يا جماعة ومحدش سامعله صوت، ما كفاية كده ونخش نتطمن عليه ليكون حصله حاجة..!»

أمن «مينا» على كلام «وائل» و قرر الجميع أن يذهبوا ليروا ما حدث، عدا «محمد» الذي ظل في مكانه ولم

يتحرك ..

وكانت الطامة الكبرى..

الباب موصد من الداخل..!!

كيف لهذا الأحمق أن يفعل هذا ..

كيف يغلق على نفسه الباب أثناء تجربة كهذه ..

أخذوا يدقون الباب دقاً ولكن ما من مجيب ولا صوت يخرج لهم..

لا أصوات دقاتهم تصل إليه ولا صوت صراخه يصل إليهم ..

وكأنهم في عالم وهو في عالم آخر ..!

«bloody Mary .. I killed your baby»

بدأ «علي»، لا إرادياً، في خمش وتمزيق وجهه بأظافره ..

وفي هذه اللحظة كانوا قد اتفقوا علي تحطيم الباب ..

وبالفعل تعاونوا علي تحطيمه ..

فدفعوه مرة والثانية، وفي الثالثة انفتح الباب ..

خرج «علي» من الحمام في حالة هياج عصبي..

يصرخ ويبكي كالأطفال والدماء تغرق وجهه ويده وملابسه..!

ثم سقط أرضاً يرتجف كورقة في مهب الريح، ومر بحالة من التشنجات، تماماً كمريض صرع!

ثم وقع مغشياً عليه من فرط ما مر به، فجهازه العصبي لم يحتمل أكثر من هذا..!!

***

(13)

ما بعد التجربة

وقف «وائل» مشدوه الفم ينظر ل»مينا»، لا يعرف ما حدث ولا يدري ماذا يقول، بينما «إبراهيم» - وعلى غير - العادة كان أكثرهم في سرعة البديهة، فحمله وهرول به على السلم ثم أخرج مفتاح السيارة من جيب «علي» وامتطوا السيارة وذهبوا إلى أقرب مستشفى، وفي الطريق أخذ «وائل» هاتف «علي» الجوال وأتصل بوالدته يخبرها عن عنوان المستشفى التي ذهبوا إليها، وحين سألته بهلع عما حدث أخبرها بأول كذبة خطرت بباله، أن «علياً» تشاجر مع أحد المشاغبين بعد الدرس، فهرولت والدته ترتدي ما وجدته أمامها وارتدت حجابها على الدرج ثم قفزت في أول تاكسي قابلها..

حين ذهبت للمشفى كان الدكتور بالداخل يضمد جروح «علي» فسألتهم عما حدث ليرد عليها «محمد»:

- «متقلقيش يا أمي، بسيطة ان شاء الله، انتي عارفة «علي» ابنك وحكاياته مع البنات، أخو بنت من اللي ماشي معاهم شافه وهو ماسك ايدها فمسكتش، ومسكوا في خناق بعض..

تلظى صدرها غضباً وأصرت كخرتيت - إن كانت الخراتيت تصر على شيء - أن تقوم بعمل محضر وتسجن هذا الأخ المشاغب لتشعل قلب أهله عليه كما فعل بها، ليهدئ «محمد» من روعها ويقول لها:

- « مفيش داعي لمحضر وسين وجيم يا أمي، وبعدين «علي» هو اللي غلطان، أولاً أكيد مترضيهاش لبنت حضرتك انك تشوفيها وواحد غريب ماسك ايديها، ثانياً علشان «علي» مسكتش وضربه هو كمان ده يمكن «علي» ضربه اكتر..!»

وقبل أن ترد عليه، خرج الطبيب ليطمئنها أنه لا داعي لكل هذا الهلع، وقال أن كل ما في وجه ابنها ليست إلا خدوشاً وجروحاً سطحيةً لن تترك أثراً، وأنه حين تعجب من كم الدماء التي على ملابسه والتي لا

تتناسب مع جروحه قام بفحصها، ليتضح له أن الدماء التي على وجهه ويداه لا تخصه وحده، فهناك مجموعتان من الدماء إحداهما تخصه والأخرى مجهولة المصدر..

هنا تأكدت والدته أن ابنها هو المخطيء وخاصةً بعد أن اخبرها الدكتور أن غالبية الدماء التي تغطي أبنه لا تخصه، فتراجعت عن فكرة المحضر..

ولكن أصدقاءه كاد يقتلهم الهلع والفزع ..

نوعان من الدماء.!

أغلب الدماء لا تخصه.!

دماءاً مجهولة المصدر.!

من أين أتت، ولم يكن هناك شخص سواه ينزف؟.!

ولم يقابلُ أحداً أخر غيرهم.!

انتشلهم صوت والدته من أفكارهم التي غرقوا فيها حتى النخاع حين دفعت حساب المشفى وأخذتهم لتوصلهم إلى منازلهم وشكرتهم على تعبهم معها، وأخذت «علي» في نهاية المطاف وعادت به إلى المنزل..!

ولكن أرَّق نومهم السؤال الذي ظل يلح عليهم بشدة عن كنه لدماء التي وجدها الدكتور على ملابس «علي»..!

هل اللعبة حقيقية ..؟!

ماذا شاهد «علي» في الحمام ..؟

وما الذي حدث له بالداخل..؟!

لمعرفة هذا السؤال لا يوجد سوى طريقة واحدة، وهي إعادة تجربة اللعبة مرةً أخرى، ولكن من لديه الجرأة لفعل هذا..!

بعد يومين من الحادث نسوا ما حدث وكفوا عن التفكير في التفسير المناسب له، فقد اقتربت الامتحانات وسيحتاجون وقتها للبحث عن تفسيرٍ آخر، هو تفسير سبب رسوبهم رغم كم الدروس التي يوهمون أهليهم أنهم يحضرونها..!

لم يذهب «علي» للمدرسة بعد الحادث ولم يعد يحضر أي دروس أو يقابلهم، ودائماً هاتفه مغلق، أثار غيابه المفاجئ قلقهم، خاصةً بعد ما حدث معه فقرروا أن يذهبوا لزيارته..

دقوا الباب مرتين ففتحت لهم «منار» شقيقته الباب، وأدخلتهم ليجلسوا في صالون»راقي»، مكون من أربع أرائك وثمانية كراسٍ، وفي المنتصف منضدتين وعلى الجدران علقت الكثير من اللوحات السريالية، تنم عن ذوقٍ رفيع ولكن غير مفهوم، فإذا سألتها عما تعبر عنه تلك اللوحة ستخبرك بأن الرسام بيانكو كاسياس أو أياً كان اسمه هو فنان عالمي حاول تجسيد صراع الإنسان مع غرائزه البوهيمية، وانكماش الإنسان في

قوقعة النقص الذاتي، وما إلى آخر هذا الكلام غير المفهوم ..

ذهبت «منار» لتنادي على والدتها فأتت والدة «علي» وسلمت عليهم، ثم غابت لدقائق وعادت بعدها معها أطباق بها بعض الكيك وأكواب من المياه الغازية وضعتها أمامهم، فسألها «وائل»:

- « علي» عامل إيه دلوقتي وصحته اتحسنت ولا لسا، احنا قلقنا عليه اكمنه مبيجيش المدرسة وعلطول قافل تليفونه فقولنا نيجي نتطمن عليه..!»

كتمت الأم دمعة وقالت بصوت متهدج:

- « مبيقومش من النوم والله يا ابني، ومش عايز يكلم حد خالص حتى انا وابوه، تحس انه انعزل عن العالم كله، ولو حاولت تقرب منه بيبقى عدواني بشكل مخيف وعلطول بيشتكي من صداع ماسك دماغه مبيسيبهاش، وطبعا كله كوم والكوابيس اللي بتجيله كل يوم كوم تاني، الواد كل يوم يقوم من عز نومه

مفزوع وهو بيصَوَّت بأسم «ماري»، لو أعرف مين «ماري» الزفتة ديه وعملت إيه في ابني هي كمان كنت قطمت رقبتها، آدي اللي بيجيلنا من ورا قلة تربية البنات..! »

لم يستطيعوا الرد، وبعد دقيقة من الصمت مرت ساعات أردف «إبراهيم»:

- « طيب ليه موديتهوش لدكتور تاني يا أمي وأهُوْ نتطمن عليه..؟!»

ردت عليه:

- « جبتله دكتور تاني طبعاً يا ابني، وقالي انه سليم جسدياً وكل اللي هو فيه صدمة عصبيةعلشان موقف حصله وعقله مقدرش يستحمله، وقال ان في الغالب السبب ان الامتحانات قربت واننا ضاغطين عليه نفسياً وهو مش مستعد للامتحانات وكلام من ده كتير مش فاكراه والله يا ابني، وبعدين كتبله على مسكن للصداع وأقترح علي اعرضه على دكتور نفساني أداني

رقمه، بس انا رفضت طبعاً، «علي» مش مجنون يا ولادي، «علي» حصلتله حاجة كسرت نِفسه، أنا عارفة ابني كويس..!»

رد عليها «مينا» بعد تردد:

- « بس الطب النفسي معترف به عالمياً وملهوش علاقة بالجنون أو العقل، واحنا كلنا معرضين ان يجيلنا مرض نفسي في أي وقت، فكرة ان المريض النفسي مجنون ديه سوري يا طنط فكرة متخلفة قوي، المرض النفسي دلوقتي زيه زي المرض الجسدي، بيبقى ليه علاج وادوية وانا رأيي اعرضيه على دكتور نفساني ومش هتخسري حاجة ومتقلقيش كل الدكاترة بتحافظ على سرية مرضاها يعني محدش هيقول ان ابنك مجنون ولا الهري ده..!»

بدت مقتنعة نسبياً بكلام «مينا» فأردفت:

- « ربنا يقدم اللي فيه الخير ليه ولينا يارب..»

بعدها قرروا الرحيل حتى لا يزعجوها أكثر من ذلك، فقد اطمأنوا على «علي» نسبياً، وبعد الكثير من « مازال الوقت مبكراً»، و»انتظروا حتى موعد الغداء»، و»فيم أتيتم وفيم سترحلون» ذهبوا، وعاد كلٌ منهم إلى منزله يحمل ذنباً بحجم فيل على قلبه من إخفاء ما حدث على والدته..!

***

(14)

الطبيب النفسي

تن .. تن .. تن ..

تدق الكنيسة أجراسها ثلاث مرات ..

الغريب أن الكنيسة تطل مباشرة علي مقبرة ..

شواهد القبور في ضوء القمر مع أصوات عواء الذئاب ونباح بعض الكلاب لا تترك انطباعا جيدا ..

«علي» يسير وسط كل هذا، ولكن فجأة يظهر له كلبٌ أسود كبير ..

حاول التماسك وعدم إظهار خوفه حتى لا يهاجمه ..

ولكن رائحة الأدرينالين الخارجة منه أفعمت أنف الكلب فبدأ في الركض وراءه ..

وحين حاول «علي» الهروب وجد العقارب تملأ المكان، وهناك أفعى أو اثنتان من أفاعي الجرس تصدر صوتها المرعب استعدادا للهجوم عليه ..

يخرج من وسط كل هذا ضبعٌ مرعب مريب ليهاجم الكلب ..

والعقارب ذهبت لتهاجم الأفاعي، بينما تحاول الأفاعي إبعادها..

ومجموعة أخرى من الضباع ظهرت لتنبش إحدى المقابر وتخرج منها جثة متعفنة ولكن لازالت ملامحها واضحة..

إنها ملامح يعرفها جيداً..

إنها جثة «محمد»..!!!

نظر إلى الكنيسة فوجد «مينا» يقف هناك يلوح له وخلفه يقف «وائل» و «إبراهيم» فركض إليهم ودخل

إلى الكنيسة ظناً منه أنها ستحميه مما يحدث بالخارج..

وبمجرد أن دخل الكنيسة اختفى «مينا» وأصدقائه من المكان فدلف للداخل ليجد امرأة تعطيه ظهرها..

استدارت المرأة بمجرد أن شعرت به في المكان لترى كنه القادم ليلاً فرأى وجهها، وكان آخر وجه يتمنى أن يراه على الإطلاق..!

هوى قلبه في قدمه بمجرد أن رآها، إنها هي ..

هو يعرف تلك الملامح جيداً، إنها ماري الدموية، تماماً كما رآها في المرآة..!

هيا أيها العقل، أصدر أوامرك للساني اللعين لينطق.!

تقترب نحوه بتؤدة ..

تسير بخطىً حثيثة مكتئبة القدم، تماماً كزومبي ..

لعل من رأى فيلم «ليلة الموتى الأحياء» يستطيع أن يتخيل هذا المشهد ..

يعرف أن فرصة نجاته لا تتعدى فرصة نجاة ذبابة وقعت في شرك العناكب ..

ومازالت تقترب أكثر فأكثر وهي تردد

«You killed my baby

يريد أن يخبرها أن الأمر لم يكن ليتعدى لعبة، ولكن ما من مجيب، فكيف يتحدث مع من يتحدث..

ظلت تقترب منه أكثر وأكثر حتى أصبحت قاب قوسين منه أو أدنى..

مدت يدها لتجذبه إليها فاستيقظ في هذه اللحظة من سباته والعرق يملأ جبينه، وصرخ بكل ما أُوتيَ من قوة ..

دخلت إليه والدته مفزوعة ليخبرها بكلامٍ غير مفهوم عن «ماري» التي عادت لتنتقم منه لأنه قتل أطفالها،

وعن اللعنة التي حلت به والشبح الذي يطارده فربتت بيديها عليه وقرأت بجانبه المعوذتين دون أن تلحظ أمارات الألم التي ظهرت على وجهه أثناء قرائتها للقرآن..

لم تنم والدته في هذه الليلة وأخذت القرار، وبدأت فكرة الطبيب النفسي تداعب عقلها وهي ممسكةً بكارت هذا الطبيب، حتى تغلب عليها النوم والكارت في يدها..

في الأيام التالية تدهورت حالة «علي» أكثر فأصبح لا يهتم بنظافته الشخصية ولا يميل للخروج وفقد مهارته الاجتماعية، ومن وقت لآخر تأتي له حالات التشنج، والكوابيس التي لا تفارق منامه..

كل هذا جعل قرار الذهاب للطبيب النفسي أمراً حتمياً..!

***

ذهبا في اليوم التالي لعيادة الطبيب النفسي القاطنة في إحدى الشوارع المتفرعة من شارع الهرم ، كانت في بناية مكونة من سبع طوابق، فدخلت والدة «علي» ومعها «علي» الذي شحبت ملامحه واستقلت المصعد لتصعد للدور الثالث فوجدت لافتة كبيرة مكتوب عليها « دكتور/ زياد الإبراشي» وفي الأسفل أخصائي أمراض نفسية وعقلية..

كانت قد حجزت دورها بالهاتف، فدلفت إلى العيادة لتجد فتاةً حسناء المظهر سألتها عن اسمها ورقمها فردت عليها:

- « علي سامح عبد الباقي، الحجز رقم 6 والبنت اللي ردت عليا وحجزت معاها قالتلي أكون موجودة الساعة 9 بالضبط..»

بحثت الفتاة في جهاز الكمبيوتر القابع أمامها ثم طلبت منها أن تنتظر لدقائق حتى يفرغ الطبيب من الحالة التي معه..!

بعد دقائق من الانتظار نادت الفتاة عليها وأدخلتها للطبيب..

كانت العيادة مكونة من مكتب عليه الكثير من الأوراق المبعثرة وأجندة أمام الطبيب مفتوحة على صفحة بيضاء وبداخلها قلم، وبجانبه جهاز كمبيوتر تخرج منه موسيقى هادئة وأمام المكتب كرسيان مريحان مبطنان بالقطن وفي الجانب مكتبة كبيرة بها الكثير من الكتب، وشيزلونج مريح بجانبه كرسي..

أما الطبيب فكان سمين البنية مصفف شعره جهة اليمين ويرتدي عوينات، وحُلة أسفلها قميص مفتوح الأزرار..

جلست والدة «علي» وأمامها «علي»، فسألها الطيب عن الحالة فحكت له كل ما مر به «علي» في الأيام السابقة فنظر إلى علي وسأله:

- « طيب احكيلي يا بطل، إيه اللي حصل بالضبط يوم خناقتك مع الشاب ده، مامتك بتقول انك ضربته

جامد.؟!»

نظر «علي» إلى والدته ولم يرد ففهم الدكتور وطلب من والدته أن تخرج وتنتظر بالخارج حتى ينتهي من الجلسة ويستدعيها..!

على مضض خرجت الأم وبعد أن اطمئن «علي» للطبيب قص عليه ما حدث، بداية من لعبة المشنقة وانتهاءً بما حدث مع لعبة «ماري الدموية» وعن «ماري» التي ظلت تطارده من بعدها ظناً منها أنه هو من قتل أطفالها بالفعل..

ظل يتناقش معه قرابة ربع الساعة أن كل هذا هلاوس سمعية وبصرية صورها له عقله الباطن لما مر به من ضغط عصبي في كل تلك التجارب، ثم وعده بألا يحكي لوالدته شيئاً مما دار بينهما ثم ضغط على زر دخلت على إثره الفتاة الحسناء، فطلب منها أن تدخل والدته فدخلت ليقول لها الطبيب:

- « متقلقيش، ابنك عنده بداية أعراض «Schizophrenia» فصام ذهني» بس في بدايتها ونقدر نعالجها ببساطة.. »

نظرت له الأم بهلع وأردفت:

« يعني عنده شخصيتين؟. ابني اتجنن يا دكتور.؟!»

ابتسم الدكتور وعدل من وضع عويناته ورد عليها قائلاً:

- «الأفلام والروايات رسمت صورة واحدة للفصام، وهي طبعا غلط، الفصام الذهني أو ما يطلق عليه اسم الشيزوفرنيا بييجي ل 1 من أصل 100 شخص تقريباً، المرض ده بيأثر على الرجالة والستات بشكل متساوي، بس بيظهر عادةً في أواخر سنين المراهقة أو أوائل العشرينيات من العمر، احنا بنعتبر الشيزوفرنيا اضطراب في الأفكار بحيث انها بتعمل اختلال في نماذج الأفكار والعمليات الذهنية، وبيكون لدى الأناس المصابين بالشيزوفرنيا عادةً عدد من الأعراض التالية:

لغة غير متصلة ومشوشة، ضعف في الذاكرة، مستوىً عالٍ من القلق، اضطرابات في النوم والأكل، هلوسات سمعية وبصرية، ورؤية أمور ملهاش وجود غير في خيالهم، أوهام ومعتقدات زائفة عن حاجة معينة زي مثلاً ان حد بيتحكم فيهم أو بيتواصلوا مع الجن أو فضائيين عايزين يخطفوهم، وهكذا، ومع الوقت بيقل اهتمامهم بمظهرهم أو بنظافتهم الشخصية، والميل للعزلة .. هي ديه بالتفصيل أعراض الفصام الذهني..»

لمعت عين الأم لأنها أخيرا وجدت ضالتها قبل أن تقول للدكتور:

- « هي ديه نفسها الأعراض اللي عند «علي»، ده حتى واحدة من زميلاتي في النادي قالتلي انه والعياذ بالله مس شيطاني وألحت عليا اني اوديه لواحد من الدجالين..!»

ابتسم دكتور زياد قبل أن يردف:

- «انا بسمع حكايات من ديه واغرب من ديه كتير، يعني تلاقي واحدة متعلمة ودارسة كويس لقت ابنها بيتحول في بعض الأوقات لشخصية تانية خالص وبيتكلم بلغة مش مفهومة وصوته بيختلف شوية تجري تقول ده « ملبوس » من شيطان أوجني عاشق، وكلام كله فاضي بيأخر الحالة مش بيقدمها، مع إن التفسير النفسي للي حصل ده ببساطة انه حالة تهور هستيري أو تقمص المريض لشخصية أخرى كوسيلة بيستخدمها العقل الباطن للهرب من القلق وضغوط الحياة الي مبيقدرش يواجهها، فبيكون الدفاع الملائم هو الهروب منها، وفي حالة «علي» عقله الباطن أظهر المرض عنده علشان يهرب من خوفه من اقتراب امتحانات الثانوية العام..»

ارتاحت الأم لحديث الطبيب واطمأن قلبها أخيراً على ولدها الوحيد فقالت له:

- « ربنا يطمنك يارب يا دكتور طمنتني عالواد، انا كنت هموت من القلق عليه ..»

ابتسم الطبيب رداً على دعوتها وكتب لها على بعض الأدوية وحدد معها ميعاد الجلسة الثانية..

***

(15)

خفيفًا كريشة - متصلبًا كلوح

بعد العلاج تحسن «علي» قليلاً حتى أنه استيقظ وحده ذات يوم وقرر أن يذهب للمدرسة، وبالفعل ارتدى ملابسه، ولم يأخذ السيارة، فقد خافت عليه والدته من القيادة وهو في تلك الحالة..

رحب أصدقائه بعودته مجددا ورقصت قلوبهم بين أضلعهم فرحة بعودة العضو الغائب ولكن «علي» كان يحمل لهم مفاجأة أخرى غير عودته..!

بعد انتهاء اليوم الدراسي اجتمعوا سويا ليقول لهم «علي» أخر شيء توقعوا أن يسمعوه منه، لقد قال لهم:

- « مش بس رجوعي هو اللي مفاجأة، المفاجأة الحقيقية اني راجع وجايبلكم معايا لعبة، ومش أي لعبة .. ديه لعبة من اللي قلب «محمد» يحبها .. لعبة للرجالة بس»

فتحوا أفواههم دهشة حتى كاد فكهم السفلي يلمس الأرض ووضع «إبراهيم» يده على رأس «علي» ليرى حرارته، في حين ابتسم «محمد» وسأله عن كنه لعبته الجديدة، فرد عليه قائلاً:

- « ديه لعبة اسمها الإسترفاع .. مش مشهورة في الوطن العربي قوي بس مشهورة جداً جداً في الغرب .. عارفين مشهورة برة ليه؟، علشان بتلعب على حلم محدش في الكون محلمش بيه، حلم الطيران .. علشان اللعبة ديه بتعتمد علي استخدام قوى خفية في رفع الجسم عن الارض علشان يطير في الهوا.!»

جذب كلامه انتباههم جميعاً فلمعت عينا «وائل» وأثار فضول «مينا» وأخرج «إبراهيم» سيجارة من سجائره ليشعلها، علامةً منه على اهتمامه بالأمر ، بينما ظل «محمد» دون أي تعبيرات علي وجهه، ولكن إن اقتربت سترى شعور الغيرة جلي عليه فقد أخذ «علي» مكانه وهو شيء لو تعلمون كبير في نظره..

حين لاحظ «علي» التعبيرات علي الوجوه وانتباههم لحديثه ولعبته شعر بأنه يأخذ مكان «محمد» فاستطرد في فخر قائلاً:

- «لعبة الإسترفاع بتحتاج خمس أشخاص عالاقل علشان ينفع تتلعب .. بعدها بينام الضح... قصدي الي هيجربها علي ضهره وبعدها احنا الأربعة، واحد هيقف على يمينه وواحد على شماله وواحد عند راسه وواحد عند رجله، ونحط صباعين تحتيه ونردد كلام مكتوب في ورقة هديهالكم لما نيجي ننفذ، وبعدها هنقول في نَفَس واحد «خفيف كريشة .. متصلب كلوح» ونبدأ برفعه بأقل مجهود ممكن، هنلاقيه بيطير لوحده قدام عنينا، كل اللي احنا محتاجينه دلوقتي مكان واسع ويكون فاضي أو جنينة مهجورة مثلاً.. حد عنده اقتراحات.؟!

فقال «محمد» بابتسامة وهو مازال محتفظاً بهدوئه:

- «انا عارف مكان جنينة محدش بيدخلها، واللي بيدخلها مش بيكون عايز حد يشوفه وانتو فاهمين

طبعاً، انا كنت بروح هناك لما بحب اقعد مع نفسي شوية ..»

لمعت عينا «علي» ثم أردف قائلاً:

- «بقى عارف جنينة شمال ومتقولّيش يا شمال، هنتعاتب بعدين عالحوار ده، بس الحمد لله أدينا لقينا المكان، دلوقتي كلكم عرفتوا كل شيء عن اللعبة، فيه حد من الرجالة مش هييجي.؟!»

قال الكلمة الأخيرة بنفس أسلوب «محمد» فوافق الجميع على اللعب على أن يكون «مينا» هو الشخصية التي سيرفعونها نظراً لأنه الأخف وزناً فيهم، وإن نجحت يجربوا مع أوزان أثقل..!

قبل أن يتحركوا سأل «مينا»:

- « ثانية بس قبل ما نتحرك، اللعبة ديه فيها خطر زي «ماري دموية» أو لعبة المشنقة، ولا لعبة عادية هنجربها وخلاص.؟

كذبا قال لهم «علي» أن الخطر الوحيد هو السقوط بعد الإسترفاع، وطمأنهم أنهم لن يلعبوها لمسافات عالية تحسباً للمخاطر، بالطبع لم يخبرهم أنهم بهذا يفتحون بوابة من بوابات الجن لترفع الضحية عن الأرض، وأن الضحية تكون أكثر عرضه للمس الشيطاني نظرا لانفتاح جسدها في هذا الوقت وتقبله لأي قوي خارجة ..

خبثاً سأله «محمد»:

- « وانت عرفت اللعبة الي مش معروفة في الوطن العربي ومعروفة في الغرب بس وانت مبتعرفش الفرق بين ال A وكوز الدرة غير علشان ال A ملهاش ورق اخضر..؟!»

تردد «علي» قبل أن يقول له:

- « الموضوع جيه صدفة والله يا «محمد» انا كنت قاعد تعبان مش لاقي حاجة اعملها فوقع تحت إيدي كتاب، مترجم طبعاً، بيتكلم عن اللعبة ديه فحبيت

اجربها معاكم، إحساس ان الواحد يقدر يطير ده إحساس ملهوش حل، يستحق اننا نجرب أي حاجة علشانه..!»

بالطبع لم يصدقه «محمد» ولكنه تصنع التصديق، فإن أخبرهم «علي» أنه حلم بتلك اللعبة وبكل الكلام الذي قاله لن يصدقه أحد ولكني أعلم الحقيقة لأني رأيت حلمه معه..!

بالطبع لم تُشبع المعلومات الضئيلة التي قالها «علي» شبقي للمعرفة فأردت أن أعرف أكثر وكما خمنتَ ذهبتُ لمعلمتي الأولى، «الأم مارسا» وسألتها عن تلك اللعبة..

لكم أعشق تلك المرأة وأعتبرها أمي التي لا أتذكر ملامحها، فهي لم تضجر يوماً من أسئلتي الكثيرة فهي المرجع الوحيد لي في هذا العالم..

أغمضت عيناها كعادتها وبدأت تحكي ولكن هذه المرة لم أرى أي صور للذي تحكيه:

هي لعبة تعتمد على 5 مشتركين كحد أدنى، حيث يقوم أحد المشاركين بفرد جسده بشكل كامل على أرض منبسطة بينما يتوزع الآخرون حوله، وكُلٌ منهم يضع إصبعًا أو اثنين أسفل جسمه، وتجري العادة أن يقوم الشخص القريب من رأس المشترك بالقول: «يبدو أنه مريض»، والبقية يكررون نفس القول، ثم يقول: «يبدو أنه في حالة أسوأ»، ويكرر البقية نفس الكلام، وهكذا يركز التوجيه العام لعملية النداء والتكرار على مقدار وهن الشخص شيئاً فشيئاً، ثم يقول الشخص الجالس عند رأسه «هو يموت الآن»، وفي النهاية يقول: «أصبح ميتاً ثم يقومون برفعه وهم يرددون عبارة «خفيفاً كريشة .. متصلّباً كلوح» ..

وهناك نسخ متنوعة من الكلام المنطوق في اللعبة، وفي إحدى النسخ الحديثة يقوم جميع المشتركين بإخبار الشخص الذي يقومون باسترفاعه قصة عن موتهم ويطلبون منه تصور أنها تحدث له، وتخدم هذه اللعبة هدفًا مزدوجًا، فهي من ناحية ترهب المشتركين بالوهم ومن ناحية أخرى تقنعهم بأنه من السهل عليهم

رفع الشخص محور اللعبة، وينتهي الكثير من أشكال اللعبة بعبارة «خفيفاً كريشة .. متصلّباً كلوح» التي يرددها كافة المشاركين وذلك أثناء محاولتهم لرفع جسم رفيقهم مستخدمين أطراف أصابعهم، وبعض أشكال اللعبة تغفل ذكر القصة بأكملها وتقتصر على ترديد عبارة: «خفيفاً كالريشة «، ويزعم أنه بعد ترديد هذه العبارات، يبدو الشخص مرفوعًا وأخف وزناً أو حتى معدوم الوزن!..

هناك نسخة أخرى أيضًا عن اللعبة حيث يجلس شخص على الكرسي ويوافق أربعة متطوعين على الوقوف حوله، يكون اثنان منهم إلى جانبه الأيسر والآخران إلى جانبه الأيمن، وكلٌ منهم يقومون بوضع إصبعان عند أسفل كل ركن من مكان الجلوس، والأربعة معًا سيحاولون رفع الكرسي والجالس عليه لكن محاولتهم ستفشل عادة، ولهذا سيقوم المتطوعون بأداء طقوس بسيطة وهي تنطوي على فرك أياديهم معًا أو تدوير الكرسي في اتجاهات متنوعة، باتجاه عقارب الساعة أو المشي للخلف، وبعد أداء هذه

الطقوس يضع المتطوعون أياديهم فوق رأس الجالس من أجل «إرسال الطاقة» على الجالس ريثما تجعله عديم الوزن، ومن ثم يقومون مجددًا برفع الجالس وفق نفس الطريقة المذكورة سابقًا..

كالعادة أشبعت شبقي للعلم وفضولي الدائم للمعرفة، ولكني سألتها عن سؤال ألح علي بشدة:

- « لقد أخبرتِني عن تاريخ «ماري الدموية»، فما هو تاريخ تلك اللعبة، من أين نشأت في الأساس؟..»

صمتت لبرهة قبل أن تقول لي وهي مغمضة العينين:

قد تكون هذه اللعبة شوهدت تمارس في القرن ال 17 خلال موجة انتشار مرض الطاعون، حيث أشار«صموئيل بيبايس» (وهو مسئول بحري) أنها شوهدت تمارس كشكل من أشكال إبعاد المرض، ومن خلال مناقشة مع صديقه السيد «بريسباند» في 31 يوليو من عام 1665 كتب «صموئيل بيبايس»:

رأى «بريسباند» صديقي أربع بنات صغيرات، كل منهن تركع على ركبة واحدة، وإحداهن بدأت تقوم بالخطوة الأولى، وهي الهمس في أُذن الثانية والثانية في أُذن الثالثة، والثالثة في أُذن الرابعة، والرابعة في أُذن الأولى، ثم أحطن بصبي يستلقي على ظهره منبسطًا على الأرض، ووضعت كل منهن إصبعها أسفل الصبي الذي كان كالميت ورددن بعض الكلمات، وبعد الانتهاء من الكلمات، استطعن بأصابعهن الأربعة رفع الصبي عالياً بأقصى جهدهن، وكان السيد «بريسباند» هناك متعجباً مما رأى فنادى على طباخ المنزل الذي كان بديناً وشرهًا، وقامت الفتيات الصغيرات برفعه بنفس الأسلوب»

وذكر « صموئيل بيبايس» الكلمات التي كانت الفتيات يرددنها وهي:

«هنا جسد ميت ...

متخشب كالعصا...

بارد كالرخام...

خفيف كالروح...

ارفع نفسك...

باسم يسوع المسيح.»

وفي عالم البشر لاقت تلك الظاهرة الكثير من الانتقادات باعتبارها شكلًا من أشكال الروحانية أو جلسات استحضار الأرواح، خاصة من الجماعات الدينية التي اعتبرتها أمرًا ملعونًا وبغيضًا لا يقل في وزره عن السحر..!

ولكن في رأيي الخاص أن المشاركين يخدعون (في الواقع) عقولهم من خلال طريقة ترديد العبارات ليصبحوا بعدها مصدقين بأن الشخص ارتفع«خفيفًا كالريشة »، ومع أن الجسم مازال يتفاعل مع الأوامر الصادرة عن الدماغ إلا أن الدماغ أصبح يدركها بشكل مختلف، خصوصًا حينما يوهم هؤلاء الأشخاص الخمسة أدمغتهم بأن ذلك الشخص أصبح خفيف

الوزن، فسبب النجاح الواضح في الإسترفاع يكمن في مفهوم «النبوءة التي تحقق ذاتها»، إذ إن الرافعين «يعلمون» أن الكائن البشري أثقل من أن يتم رفعه بطرف إصبع، لذلك وبشكل لاشعوري لن يبذل الرافعون الجهد الكافي في محاولتهم الأولى، ولكن بعد إجراء «الطقوس» يعتقدون بأن الجسم من المفترض أن يتحرك أو أن الطقوس بحد ذاتها منحتهم هذه القوة ولهذا سيبذلون جهدًا كافياً لرفع، المشترك بعيدًا عن الأرض، ولكني لا أُخفي عليكِ أن تلك الطقوس وما شابهها يفتح جسم الإنسان للمساسين لدينا ..

شكرتُها على معلوماتها التي لا تبخل بها علي وذهبت لأرى ما سيفعله هؤلاء «التسعة» ببعضهم البعضُ..!

***

(15)

الرجل الثالث

ذهبوا جميعًا إلى تلك الحديقة، ووجدوها فعلا خاليةً من البشر، ونادرًا ما يمر منها أحد، فراقت لهم جميعًا واستعدوا بحماس لبداية اللعبة وتحقيق حلم البشرية في الطيران..!

رقد «مينا» على ظهره مسترخياً وأغلق عينيه، ووقف «علي» عند رأسه، و»إبراهيم» على يساره، و»وائل» علي يمينه، و»محمد» عند قدميه، ثم طلب منه «علي» أن يتخيل أنه كان مكان «محمد» في اليوم المشئوم ولكننا لم نستطع أن ننقذك، ثم بدأ «علي» بتوزيع وريقات صغيرة مكتوب فيها كلام سيردده الجميع حالا في نفسٍ واحد، عدا «مينا» الذي ظل يتخيل ما قاله له «علي» ويعيش الأطوار التي سيقولونها عنه بالترتيب:

«يبدو أن «مينا» مريض..»

«يبدو أن المرض أشتد على «مينا» »

«يبدو أن «مينا» في حالة أسوأ »

«يبدو أن «مينا» يموت »

«يبدو أن «مينا» تُوفي»

«كفنوا المتوفَى واحملوه..!»

قال الجملة الأخيرة، وبعد أن رددوها وراءه طلب من كل واحد أن يضع إصبعا أسفل «مينا» ويردد معه.

« خفيفًا كريشة .. متصلّبًا كلوح »

لم يحدث أي شيء، في المرة الأولى ولا الثانية

« خفيفًا كريشة .. متصلّبًا كلوح »

في المرة الثالثة بدأ يفقد وزنه ويرتفع عن الأرض..

« خفيفًا كريشة .. متصلّبًا كلوح »

في المرة التاسعة بدأ يرتفع عن الأرض بمسافة كبيرة ملحوظة

« خفيفًا كريشة .. متصلّبًا كلوح »

وفي الثالثة عشرة كان قد وصل حد وجوههم

« خفيفًا كريشة .. متصلّبًا كلوح »

صمت الجميع من هول ما يرون ..

إنها حقيقة إذن ..!

ولكن لا يزال «مينا» يواصل الارتفاع أكثر وأكثر..

« خفيفًا كريشة .. متصلّبًا كلوح »

لا يستطيع أن يحرك ساكنا، وهم لا يعرفون ما يجب عليهم فعله وحين سألوا «علي» عما يجب فعله أخبرهم انه لا يعرف!!..

« خفيفًا كريشة .. متصلّبًا كلوح »

مازال «مينا» مستمر في الارتفاع أكثر وأكثر حتى أصبح في ارتفاع أكثر من عشرة أمتار عن الأرض..

وفجأة، ودون سابق إنذار، هوى من حيث كان بسرعة فائقة..

ظن الجميع أنه انتهى لا محالة، ولا سبيل لنجاته ولا مجال..

التفوا في البقعة التي ظنوا أنه سيسقط فيها وشبكوا أيديهم بقوة لالتقاطه وتخفيف الصدمة عليه..

وقبل أن يصل إلى أيديهم حطم «مينا» كل قوانين الجاذبية وضرب بأبحاث نيوتن عرض الحائط وتوقف في الهواء للحظات قبل أن يستمر في السقوط، ولكن هذه المرة ببطئ ملحوظ يمنعه من الارتطام بالأرض..!

وقفوا يشاهدوا ما يحدث غير مصدقين ..!

ولكن حين وقع كان قد فقد وعيه من هول الصدمة..!

بعد أن عاد إليه رشده أخذوه إلى منزله وكل منهم ينوي في قراره نفسه ألا يعيد الكرة مرة أخرى ..

فالله أتم عليهم بنعمة الستر هذه المرة، ولكن من يدري ماذا سيحدث إن كرروا التجربة ثانية..!

***

لم يعد بعدها «مينا» كما كان، فمر بنفس الأطوار التي مر بها «علي»، فأصبح يميل للعزلة والجلوس وحده على غير عادته، وقام بتمزيق صور يسوع ومريم العذراء وخلع الصلبان المعلقة على الحوائط وتمثال العذراء ووضعه في صندوق ووضع الصندوق أسفل سريره..!

بعدها صار عدواني بشكل لا يطاق، دائم الشكوى من صداع لا يزول بالمسكنات، وعلى غير عادته قل استحمامه واهتمامه بنظافته الشخصية، حتى لفت الأمر انتباه والده فقرر أن يأخذه إلى «البابا» ليرى ما أمره..!

أخذه ودلفا إلى الكنيسة، ليقابله قس بشوش الوجه ذو لحية بيضاء ومعلقٌ في صدره الصليب الذي أمتعض

وجه «مينا» فور رؤيته، فابتسم له البابا وأردف قائلاً وهو يمسح شعر «مينا»:

- « بقالك فترة كبيرة مبتجيش الكنيسة يا «مينا»، انت سيبت نفسك للشيطان وبعدت عن طريق المسيح والروح القدس لحد ما الشيطان اتملك منك..!»

أندهش الأب من معرفة القس بأمر «مينا» دون أن يحكي له شيئًا، ورد عليه «مينا» الرد المعتاد ولكن بطريقة جافة:

- « أنت عارف يا ابونا أني ثانوية عامة، وعارف قد إيه المرحلة ديه صعبة عليا، خاصةً اني علمي علوم ونفسي احقق حلم ابويا واخش طب وارفع راسه..!»

لكزه أبيه في كتفه وقال له غاضباً:

- «أتكلم باحترام شوية ياض انت، اسمها حضرتك مش أنت..!»

نظر له القس بابتسامة لا تفارق وجهه ورد عليه:

- « سيبه يا عدلي سيبه، مش هو اللي بيكلمني أصلاً..!»

تعجب الأب من حديث البابا وتساءل:

- «انت قصدك ايه يا ابونا بمش هو اللي بيكلمك ديه..؟!»

رد عليه البابا بهدوء وهو ينزل ل»مينا» الذي يحدق فيه بنظرات تحدٍ واضحة:

- « ابنك للأسف مسه أحد الشياطين لبعده عن يسوع والروح القدس، واتملكت منه بعض الأرواح الخبيثة..!»

تحولت نظرات «مينا» من تحدي لغضب قبل أن يسأل والده البابا:

- « إيه!!، بس ازاي ده يحصل يا ابونا.؟!، «لا يمكن أن يُمَس المسيحيون بالمس الشيطاني لأن الروح القدس

ساكن فيهم «كورنثوس الثانية 22:1 و 5:5 و كورنثوس الأولي 19:6»».

رد عليه البابا محاولاً تجاهل نظرات «مينا» إليه، فهو يعلم جيدًا ما لديه:

- « ممكن المسيحي المؤمن يتيح نفسه للمس بأفعاله وعمايله، فالمسيحي المؤمن بالروح القدس لا يمكن ابدًا تمسه أي روح نجسة، بس الظاهر أن «مينا» ابنك فتح قلبه للشر وهناك أمثال كثيرة لمسيحيين عملوا عملته وفتحوا قلوبهم للشر برضه زي يهوذا الإسخريوطي لما وشى بالمسيح، والملك شاول لما تمرد على الرب وحاول قتل داود وحتى بطرس لما عارض ذهاب المسيح للآلام وقال له « حاشا» فقال له الرب يسوع: «اغرب عني يا شيطان».

كل الأمثال ديه وغيرها كتير بتبين لينا أنه من الممكن للمسيحي أنه يخون العهد مع الرب ويفتح قلبه للعادات والأعمال الشريرة وبكده بيقدم نفسه خادم للشيطان ومطيع ليه في تشويه صورة الرب اللي

جواه، وإعثار أبناء الله وإعاقة تقدمهم في النعمة والبركة وطاعة الرب للفوز بالحياة الأبدية، والسبب في ده ان مينا ابنك ساب وصايا الرب ووقع في فخ شهواته.

وهو ده بالضبط المس الشيطاني للمسيحي، أنه بيسخر قدراتنا وعقلنا في مخالفة الرب، وإتباع الشيطان، والذي لا يمكن إنكار وجوده الفعال والنشيط في العالم كما قال بولس الرسول:

«اصحوا واسهروا لان إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمسا من يبتلعه »

أبتلع والد «مينا» لعابه وسأل البابا:

- « طب وإيه العمل يا ابونا؟، ابني ضاع مني كده بسبب عمايله وبعده عن الرب!!»

قبل أن يرد القس عليه دخل«مينا» في حالة هياج عنيفة فمزق ملابسه وظل يخمش وجهه وجسده بأظافره فسالت الدماء من كل جزء في جسده، في

مشهد مرعب كاد أن يقف منه قلب والده هلعاً، قبل أن يقترب منه القس، وفجأة سكب في وجهه كوب من الماء المقدس ليسقط «مينا» على الأرض مرتجف الجسد في حالة تشنج فركع عليه البابا وظل يردد:

البسوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس، فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظُلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية في السماويات، من أجل ذلك احملوا سلاح الله الكامل لكي تقدروا أن تقاوموا في اليوم الشرير وبعد أن تتمموا كل شيء أن تثبتوا، فاثبتوا مُمَنِطِقينَ أحقاءكم بالحق ولابسين درع البر، وحاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام، حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذي به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة، وخذوا خوذة الخلاص وسيف الروح الذي هو كلمة الله، مصلّين بكل صلاة وطلبة كل وقت في الروح وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة وطلبة لأجل جميع القديسين... آمين .. آمين.. آمين

ثم أتي بماء مُصلى عليه وسكب بعضه على يده ومرر يده على وجهه وجسده راسما الصليب ثلاث مرات وهو يردد:

وإن صرخنا فيه الآن مع الرب يسوع، اخرج منه، فستخرج منه وتبتعد بقدر ثقتنا في الرب، فلتبتعد عنه وإلى الأبد وإلا صلينا للرب أن يكبلك من الآن وإلى الأبد..

غط بعدها «مينا» في سبات عميق فحمله الأب وشكر القس وعاد إلى المنزل ليسجيه على فراشه ويدثره بالأغطية..

***

(16)

جالان كون - جالان بيس

استيقظ «مينا» في اليوم التالي ودلف إلى الحمام ليستحم، غاب كثيراً بالداخل على غير عادته حتى شعر والده بالقلق من غيابه في الحمام فدق عليه الباب فأخبره «مينا»:

- « انا قربت اخلص اهو، دقيقة بالضبط وهخرج»

تنفس والده الصعداء وصلى شكر للرب فهذه هي المرة الأولى التي يستحم فيها بعد اليوم المشئوم..

خرج «مينا» بعدها من الحمام ودلف إلى غرفته فرتب مكتبه وحين وجد صليباً كان قد وضعه والده على المكتب وضعه في الدرج قبل أن تقع عينه على كتاب «حول العالم في 200 يوم »..

مد يده إليه لا إراديا وفتحه على صفحة معينة ترجل على السطور بعينيه قبل أن يقف عند فقرة معينة،

قرأها أكثر من مرة حتى كاد يلتهم سطورها بعينيه، بعدها وضع خطوط أسفلها بالأحمر، وحين شعر أن كل هذا ليس كافياً قام ليبحث عن أحد أقلام التحديد حين وجد ضالته في أحد أدراج مكتب والده، فقام بتحديد الفقرة بأكملها..

دخل عليه والده وقد كان «مينا» جالساً على المكتب ومعطياً ظهره لباب الغرفة فظن أنه يذاكر دروسه فدعا أن تحل عليه بركة المسيح ليمتعض وجه «مينا» بمجرد سماعه همس أبيه ولكنه سرعان ما يعود إلى ما كان يقرأه..

نظر إلى الفقرة التي حددها وقرر أن يقرأها للمرة المائة قبل أن يتخذ القرار النهائي..

لقد مزق تلك الفقرة من الكتاب واحتفظ بها في جيب سرواله ثم وضع الكتاب جانباً..

بعدها قرر أن يذهب إلى المدرسة، ولكن الوقت كان قد تأخر فقد تبقى ما يقل عن النصف ساعة على موعد

خروج الطلاب فأخبر والده أنه سيذهب ليحدد مواعيد أخرى للدروس التي لم يحضرها وذهب..

حين وصل للمدرسة كان موعد الخروج قد حان فأنتظر حتى يخرجوا ..

ظهرت أثار الفرحة على وجهي «وائل» و «إبراهيم» حين رأوه بينما استقبله «محمد» و «علي» بابتسامة باردة ليقول له وائل:

- « انهاردة عيد ولا إيه يا جدعان، ديه أول مرة نتجمع كلنا من آخر مرة لعبنا اللعبة بتاعة الطيران ديه، «محمد» و»علي» مجوش من وقتها، وانت كنت تعبان زي ما ابوك ما قالنا، مرحب برجوعنا تاني يا رجالة..يلا بينا عالقهوة بقى..!

نظر «مينا» (لا إرادياً) ل «محمد» الذي لمح عينيه الخاوية على غير عادته، كيف تبهت عين «محمد» اللامعة بهذا الشكل فسأله:

- « إيه ده!!، فيه حاجة متغيرة في ملامحك يا «محمد»..!»

نظر «وائل» و«إبراهيم» إلى «محمد» قبل أن يدركوا كلام «مينا» فملامح «محمد» فعلاً ليست كما اعتادوها قبل أن يرد «علي» ببرود:

- « لأنه ببساطة مش لابس نضارته، واحنا اتعودنا عليه بالنضارة..!»

فرد عليهم «محمد»:

- « لا أنا بدلتها بلينسز، مبقتش بستحمل النضارة خالص في الصيف، غير انها بتوجع مناخيري وعملتلي حساسية فيها ..

ثم نظر إلى «مينا» واستطرد:

- « وبعدين خد هنا، احكيلنا إيه اخبارك انت، بتذاكر ياض من ورانا ولا إيه..!»

ضحك «مينا» ورد عليه:

- « أذاكر ..؟!!، هذه ليست أخلاقنا يا صديقي هاع هاع هاع، انا كنت بذاكر فعلا بس مش دروسي، بما إن موضوع الألعاب بقى تريند في شلتنا فقولت اشوفلي لعبة حلوة انا كمان نلعبها، فذاكرت في كتاب انيس منصور اللي انت حمستني اني اجيبه ومكنتش لاقي وقت اقرا فيه، وطلعت منه بلعبة انما إيه ملهاش حل، لعبة مفيهاش أي خطورة وبتورينا المستقبل كله، بس اسمحلي يا «محمد» أقول كلمتك واعرفهم انها للرجالة بس علشان بتعتمد على تحضر جن، فاللي بيخاف يطلع برة..!»

لقد ملوا من تلك الجملة التي دائما ما تليها مصيبة، ولكن قبل أن يتحدث «مينا» رد عليه «محمد»..

- « أنا عن نفسي مبقولش للألعاب لا،...شوف باقي الرجالة..!»

فكر «علي» مليًا ثم قال له:

- «وانا معاك بس بشرط، لو أي حد حصله أي حاجة المرة ديه مش هنلعب تاني أي لعبة ونشوف أي حاجة تاني نعملها..

لم يجد «وائل» أو «إبراهيم» مفرًا من تلك اللعبة، خاصةً بعد كلام «علي» انها المرة الأخيرة إن تأذى أحد، فوافقوا ورد عليه «وائل»:

- « ربنا يستر بس ومتكونش تجربة طيران تانية بس من الدور العاشر وبشمسية، والتعويذة هتكون «فرافيررررررررو»، أو هنحضر روح واحدة اتحرقت في الحرب العالمية التانية وهي بتعمل الغدا لجوزها!.»

ابتسم «مينا»:

- « لا يا ظريف، لا هنّط من دور عاشر ولا هنحضر روح واحدة محروقة، احنا هنحضر جن يقدر يجاوب على كل اسئلتنا، وبطريقة سهلة جدًا «جالان كون .. جالان بيس» ..!»

أِشعل «إبراهيم» سيجارة، فقد أصبح يدخن بشدة بعد أن كفوا عن الذهاب لشقة «علي» في السادس من أكتوبر لتعاطي الحشيش كعادتهم علّ الكثير من التبغ يعوض سحر الخشخاش الذي أدمنه ونفث دخانها قبل أن يسأله عن الطريقة فرد عليه «مينا»:

- « هقولكم كل حاجة أول ما نلاقي المكان اللي هنلعب فيه اللعبة..

ثم وجه حديثه ل»محمد» واستطرد:

- « انتو بيتكم لسا فاضي ولا امك رجعت البيت تاني ولا إيه..!؟»

رد عليه «محمد» بابتسامة:

- « لا متقلقش يا اخويا البيت فاضي، أبويا لسا في الشغل وامي قاعدة عند اخويا علشان مراته خلفت..!»

باركوا له وسألوه عن «السبوع» فرد عليهم:

- « من عنيا الجوز أول ما نعمل سبوع هعزمكم علطول، يلا بينا بقى علشان نجرب لعبة «مينا»، الراجل أول مرة يقترح علينا حاجة في الشلة ديه، وانا قريت نفس الكتاب لأني أنا أصلاً اللي عرفت «مينا» عالكتاب ده، وعارف انه ممكن نلعبها الصبح عادي..!»

راقت فكرة اللعب بالنهار ل «وائل» فذهب معهم وهو يقول بصوت مسموع:

- « ربنا يستر المرة ديه ومتحصلش مصيبة زي كل مرة..!»

***

(17)

الرجل الرابع

ذهبوا جميعًا إلى شقة «محمد»، وبمجرد أن جلسوا بدأ «مينا» في الحديث:

«تلك اللعبة كما أخبرتكم قرأتها في كتاب «حول العالم في 200 يوم» وأثارت فضولي لتجربتها، إنها تعتمد على استحضار روح معينة لتجيب على أسئلتنا، وهي بمنتهى البساطة تعتمد على سلة قمامة سنضع بها عصا على هيئة صليب ونُلبسها قميصًا ونضع عليها وجه مرسوم .. أي وجه .. فيصبح الصليب كخيال المآتة الذي كان يضعه أجدادنا في الأراضي الزراعية ليرعب الطيور فلا يقتربوا من المحصول،

بعدها نضع في أعلي الرأس عودين من البخور قمت بشرائهم من العطار القاطن جوار المدرسة، ثم نضع قلم رصاص في إحدى فتحات السلة ويمسكها من يريد السؤال ويضعها أمام ورقة ثم يردد بصوت جهور

«جالان كون .. جالان بيس»

لمده دقيقة أو أكثر حينها ستندفع السلة إلى الأمام كعلامة على حضور الروح، حينها سنسألها كل شيء وستجيب.. »

قال كلامه ثم طلب من «محمد» أن يحضر له سلة وقميص قديم وعصا طويلة ..

غاب «محمد» لمدة خمس دقائق ثم عاد بكل شيء العصا على هيئة الصليب والسلة والقميص القديم حتى القلم والورقة أحضرهما، أعد «علي» كل شيء ثم سأل الجالسين:

- «مين منكم عايز يسألها ..؟!»

لم يبدي «إبراهيم» اهتمام فهو لم يقتنع أن تجيب سلة قمامة على أسئلته، فلو كانت لديها تلك القدرة لتحدثت عنها الصحف وظهرت في كل برامج التلفاز بدلاً من وضعها في المطبخ وبداخلها قمامة المنزل، بينما أثار الحديث فضول «وائل» للتجربة، فقد كان

يريد أن يعرف في أي جحيم خبأ والده هاتفه الجوال، ويريد أن يعرف إن كانوا سينجحون هذا العام أم لا فأمسك بالسلة وظل يردد:

«جالان كون .. جالان بيس»

تمنى «إبراهيم» في تلك اللحظة لو كان يملك قطعة حشيش ليستحضر روحها بدلا من هذا الهراء وظل البقية ينتظرون ما ستسفر عنه تلك اللعبة واستمر «وائل» في الترديد:

«جالان كون .. جالان بيس»

ظل يردد دقيقة أكثر من عشر مرات أمام نظرات الشغف من «مينا» و«علي» و«محمد» ونظرات السخرية من «إبراهيم»

«جالان كون .. جالان بيس»

في المرة الثانية عشرة هزته السلة بقوة وكأن لها إرادةً خاصة فصرخ «مينا» :

- « نجحنا نجحنا، دلوقتي ممكن نسألها أي سؤال وهتجاوب عليه ..!»

فغر «إبراهيم» فاه من الدهشة بينما قفزت الفرحة من عيني «وائل» وسألها بسرعة:

- «قوليلي والنبي ابويا مخبي تليفوني المحمول فين ..؟!»

دارت السلة حول الورقة دون أن تكتب شيء فتعجب «وائل» مما يحدث وسأل مينا:

- « إيه ده هي مجاوبتش ليه ..؟!»

قبل أن يرد «مينا» على السؤال تحرك «محمد» من مكانه وأخذ قلم وبدأ يخط بالأبجدية على الورقة من الألف حتى الياء، بعدها تحركت السلة لتضع نقاط بجانب حروف معينة فوضعت نقطة بجانب حرف الألف ثم السين فاللام ليجمع كلمة أسفل، بعدها أرجعته للخلف ثم عادت تضع نقاطها على حرف الخاء فالزين فالألف والنون فالتاء المربوطة ليجمع كلمة

خزانة ثم أرجعته للخلف مرة أخرى وعادت ثانيةً لتضع نقطة بجانب حرف الألف ثم اللام ثم الثاء فالياء ثم الألف فالباء ليجمع في نهاية المطاف جملة «أسفل خزانة الثياب »..

فرح «وائل» باللعبة كثيراً وسألها مرةً أخرى:

- « احنا هننجح السنة ديه..؟!»

لتهتز السلة في يده بعنف ثم تطرحه على الأرض والدماء تنزف من أنفه قبل أن يدخل في حالة من التشنج ويفقد الوعي..!

***

بعد أن عاد إلى رشده لم ينبس ببنت شفة فأعاده «إبراهيم» إلى المنزل ليدخل في نفس الأطوار التي دخل فيها «مينا» و«علي» من قبله..

لاحظت والدته تلك الأعراض، وحين حكت لأبيه ما يمر بيه ولدهم قرروا أن يذهبوا للشيخ «عسقلاني»

فهو يفهم في تلك الأمور ، فما ضر ولدهم هو بالتأكيد جن، خاصةً أن والدته كانت مؤمنة جدًا بتلك الأشياء..!

ذهبوا إليه، وكان يقطن في غرفة بالطابق الأول من إحدى البنايات، بمجرد أن رأيته عرفت أنه مشعوذ وليس شيخاً على الإطلاق..

يرتدي جلباباً قصيرًا رمادي اللون، و مسبحة كبيرةً حول رقبته، ولديه ذقن طويلة غير مشذبة وعمامة على رأسه، وأمامه مبخرة كبيرة بها الكثير من الفحم يضع فيها البخور اللذيذ من حين لأخر، فإن كنت لا تعلم البخور يُعد من ضمن وجباتنا المفضلة..

ظل يردد كثيراً من أسماء بني عالمنا ك «شمهورش» و«وميطرون» و«أبا طارش» ويعزم بأسمائهم بعزائم خاطئة، لو سمعها أحدهم لتجسد فورا ليقتله حتى وإن كان سيحترق بعدها..!

بعدها سألهم عن المشكلة فأخبرته والدة «وائل»:

- « انا ابني اتغير فجأة يا مولانا وبقى بيكره الحموم ومش طايق يكلم حد ويوماتي بتجيله كوابيس بتصحيه من عز نومه ..»

نظر باتجاه وائل ووضع يده عليه وظل يردد كلام غير مفهوم يبدو أنه بلا معنى قبل أن يصرخ بأعلى صوته:

- « حيييييييييييي»

ويخبرها أن هناك جنية تعشق ولدها ويجب عليها أن تحصنه بالحجاب وأعطاها ورقة عليها كلام غريب مكتوب بدماء دجاجة ثم قام من مكانه وذهب إلى غرفة مجاورة وأحضر ديك أسود اللون ذبحه فوق «وائل» ليغرقه بالدماء وهو يردد الكثير من الكلام الغريب ثم علق هذا الشيء الذي يسميه حجاب على رقبته وطلب من والدته خمسمائة جنيه..!

لا أدري كيف تغفل الشرطة البشرية عن مثل تلك النوعية من البشر، إنهم يربحون من هذا الهراء والنصب أكثر من تجار المخدرات في عالمكم..

بعد ذلك نظر إلى والدته:

- « لما يروح اخلعي من رقبته الحجاب خليه يستحمى ويتطهر وبعدين رجعي الحجاب تاني وبعدها محدش هيقدر يقربله»

ثم وضع البخور في المبخرة ليزداد الدخان بشدة وهو يردد بطريقته السينمائية:

- «حيييييييييييي»

شكرته الأم وعادت ب «وائل» للمنزل ونفذت وصية الشيخ..

في اليوم التالي، استيقظ «وائل» من النوم وأخذ ورقةً وقلم ودوّن فيها طريقة لعبة حلم بها وقرر بعدها الذهاب للمدرسة ليلعبها مع أصدقائه..

***

(18)

ويجا

ذهب «وائل» إلى المدرسة، واجتمع بأصدقائه وأخبرهم أن لديه لعبة جديدة سيذهبوا الآن ليلعبوها في منزل «محمد» فهذه اللعبة هذه المرة تجيب فعلاً على الأسئلة وليست كألعاب «مينا»..

ذهبوا إلى منزل «محمد» جميعاً بحماس، عدا «إبراهيم» الذي بدأ يشعر بالنفور من شلته فكان يجر قدميه للذهاب معهم وينتظر اللحظة المناسبة ليفر منهم..

حين ذهبوا إلى منزل «محمد» قال لهم «وائل»:

- « احنا هنلعب المرة ديه ويجا، لعبة السلة مجاوبتش على اسئلتنا كلها بس أكيد ويجا هتجاوب ..!»

رد عليه إبراهيم بسرعة:

- « اها عارفها اللعبة ديه وشوفت فيلم هاني سلامة اللي كلهم ماتوا فيه في الآخر بسبب اللعبة ديه ..!»

لم يعر «وائل» بالاً لحديث «إبراهيم» واستكمل:

«Ouija Ouija come toplay»

- «الأربع كلمات دول هما باختصار مفتاح الدخول لعالم من عوالم السحر الأسود، وهناك بيكون تحضير الأرواح أسهل من قص الضوافر .. زمان قوي كان فيه سحرة بيفكروا في طريقة جديدة لتحضر الجن، راحوا محضرين جن اسمه ‹خادم الأرقام› أو «ويجا» ‹Ouija› والمقصود منها معرفة إجابات لكل حاجة ممكن تحصل في المستقبل وأي أسئلة في خيالنا من خلال خادم الحروف اللي يبدأ في الظهور بعد ما بنقول تعويذة تحضيره، كل اللي احنا هنحتاجه في اللعبة ديه مجموعة أوراق مكتوب عليها كل الحروف من الالف للياء، والأرقام من صفر لتسعة، وتلت أوراق بلون مختلف مكتوب عليهم كلمة ‹نعم، لا، الوداع› وبنحط الأوراق كلها على شكل دايرة، وبنحط التلت كروت

الأخيرة في منتصف الدايرة بالضبط، وبعدها بنحط عليهم لوح إزاز وعلي الإزاز بنحط عالاقل تلت شموع أو مضاعفات التلاتة يعني تلاتة أو ستة أو تسعة وهكذا وكل ما يزيد عدد الشموع كل ما يزيد نجاح التجربة، لإني قريت ان الجن بينجذب للأماكن الدافية، وفي النهاية هنحط حتت عيش قديمة على الإزاز وفي النص كوباية ازاز عادي، وطبعا الكوباية ديه هتتحرك بسهولة على لوح الإزاز ولو مكنتش حركتها سلسلة ممكن نحط شوية زيت بس غالبا هتتحرك بسهولة عاللوح، وبعدها هنبدأ في التحضير وهنّادي على ويجا علشان تيجي وتلعب معانا، وطبعًا أي اتنين مننا اللي عايزين يسألوها هيحط كل واحد منهم صباع عالكوباية ... وأول ما تيجي ويجا الكوباية هتتحرك عالكارت المكتوب عليه نعم، .. ولما نخلص اللعبة هنشكرها ونودعها ومش هينفع نسيب اللعبة قبل ما الكوباية تتحرك على كارت الوداع علشان نتأكد ان ويجا مشيت»

بالطبع هذا كله هراء فقد أخبرتني الأم مارسا يوماً عن تلك اللعبة وقالت لي أن كلمة Ouija مكونة من كلمتين، الأولى Oui وهي كلمة فرنسية والثانية ja وهي كلمة ألمانية والكلمتان تعنيان «نعم»..

وأخبرتني أيضا أن أقدم الألواح المشابهة لويجا يرجع إلى عام 1200 ق.م كما مورست الويجا على نطاق واسع في كل من الهند القديمة، والإمبراطورية الرومانية، واليونان، والعصور الوسطى في أوروبا ولكننا لسنا في حصة تاريخ لأخبرك بكل هذا، أنا فقط أردت تصحيح المعلومة التي قالها هذا الفاني الغبي..

في هذا الوقت سألهم «وائل»:

- « مين منكم عايز يعلب .؟!»

وقعت العيون كلها على «إبراهيم» الذي كان مشوش الذهن في هذا الوقت، فقد أستدعى ما حدث في فيلم «ويجا» لمن لعبوا تلك اللعبة ثم قارن بينه وما حدث مع أصدقائه بدايةً من حبل المشنقة مع «محمد» الذي

عاد بغرابة ليقترح لعبة أخرى يلعبها «علي» وهي «ماري الدموية» التي جعلت «علي» يمر بحالة غريبة، عاد بعدها كأن شيئاً لم يكن وأقترح لعبة الإسترفاع تلك التي لعبها «مينا»، وعاد بدوره ليقترح لعبة السلة اللعينة التي كان ضحيتها «وائل» الذي عاد الآن ليشركني في الدائرة..!

حين ربط الأمور ببعضها البعض شعر أن الدور عليه ليقع في شرك منصوب له ببراعة فترك ساقيه للريح وعاد إلى منزله وقد أخذ القرار بالابتعاد عن تلك الشلة، وغادر بعدها الشلة منزل «محمد» دون لعب...

***

حين عاد إبراهيم لمنزله قابل صديقه «هيثم» صديقه على الدرج، فحياه «هيثم» كالعادة بقطعة حشيش، رقص قلب «إبراهيم» طرباً لها، وحين وضعها في جيب سرواله وجد شيئًا معدنيًا فتحسسه ليجد أنه مفتاح ..

أخرجه ونظر إليه في محاولةً منه ليتذكر كيف أتى هذا المفتاح لجيب سرواله قبل أن تلمع الفكرة في ذهنه..

إنه مفتاح شقة «علي» في السادس من أكتوبر، لقد أخذه يوم حادث «محمد» ونسي أن يعيده ل«علي» وظل معه حتى هذه اللحظة، وهنا أخذ القرار، سيصعد ويأخذ من أهله نقوداً لدرسٍ ما ثم يستقل تاكسي ويذهب به إلى هذا المنزل ليشرب حشيشته دون خوف، فقد اشتاق للحشيش بحق..!

وقبل أن يعود «وائل» للمنزل كانت صديقة والدته لديها تقول لها:

- « انا جبتلك شيخ تاني غير العسقلاني النصاب ده، والشيخ ده مبياخدش فلوس علشان يعالج العيانيين ياختي ده عاملها لله ربنا يزيده يارب، انا كنت هناك الصبح يا اختي وعايزة اقولك المكان بيشغي ناس، روحت وخدالك رقم علطول علشان متستنيش كتير،

ألا هو فين «وائل» عايزين نلحق معادنا بدل ما الدور يروح علينا..!؟»

قبل أن ترد عليها دق الباب فقامت لتفتح فوجدته «وائل» بش وجهها وفرحت ودون أي كلمة هرولت إلى الداخل ارتدت ما وجدته أمامها من ملابس، وأخذته وذهبت به دون أي كلمة إلى عنوان هذا الشيخ..

***

(19)

الشيخ إسلام

حين وصلت إلى العنوان الذي كان في بناية قديمة صعدت مع «وائل» على درج محطم حتى وصلت إلى الشقة المقصودة، كان باباها مفتوحًا فدلفت إلى الداخل لتجدها شقة واسعة بها ساحة استقبال كبيرة، ويوجد الكثير من الناس في الانتظار، منهم من يرتدون ملابس عادية ومنهم من يرتدون جلباب ولهم ملامح صعيد مصر، وهناك النساء والرجال، ولكن ما لفت نظرها أن هناك الكثير من القطط في المكان، ذهبت إلى الرجل الجالس على المكتب وأعطته الورقة فأخبرها أنها هي الحالة التالية، جلسا في الانتظار لتسمع في الداخل صوت رجل يقرأ قرآن بصوتٍ عالٍ ومعه صوت صراخ أثار الرعب في قلبها لكنها أصرت أن تقابل هذا الشيخ الذي يتحدث عنه الجميع..

بعد قرابة ربع الساعة من التلاوة والصراخ عم الصمت المكان، وبعدها خرجت فتاة في العشرينات من عمرها

ومعها والدتها تسندها ويبدو عليها الإرهاق..

***

في هذا الوقت كان «إبراهيم» قد وصل إلى المنزل الذي كانوا ممنوعين من الذهاب إليه، ليتذكر ما حدث في هذا المنزل فتح الباب لتفعم أنفه رائحة عفن قوية ..

دلفَ إلى الداخل ليرى مصدر تلك الرائحة فوجد أنها من جثة «محمد» المسجاة كما تركوها..!

***

نادى الرجل على رقم «وائل»، فقامت والدته وجرته في يدها فأدخلهم الرجل بعد ذلك للشيخ «إسلام»، كان شاب في ربيعه الثلاثين، قوي البنية، يرتدي بنطال وقميص، مصفف الشعر لديه ذقن خفيفة مشذبة بعناية، ويرتدي عوينات نظر، بمجرد أن دخلت معهم نظر إلي وأبتسم فعرفت أنه يراني ويعلم بوجودي ..!

كان مكتب الشيخ «إسلام» واسع، به أريكة كبيرة جلست عليها والدته وأجلس «وائل» على أخرى صغيرة ثم سأله:

- « انت بتحلم بكلاب وتعابين .؟!»

أجاب «وائل» بنعم فسأله:

- «بتحس بألم في ضهرك من تحت أول ما تصحى من النوم.؟»

فرد عليه:

- « وفي أوقات كتير بحس ان فيه حد دايس على ضهري علشان افضل في السرير، وبحس بألم فظيع في ضهري لحد ما أقوم من عالسرير بيتبقى ألم بسيط ميتقارنش بالألم اللي بيحصلّي في الأول ..!»

فسأله عن إن كان بيصلي أو بيقرأ قرآن فأجاب «وائل» بلا..

فذهب الشيخ»إسلام» إلى مكتبه وأتي بقطعة قماش رمادية اللون لا تدري إن كان هذا هو لونها أم أنه من الاتساخ ولفها حول رقبته وبدأ يتلو القرآن الكريم ليغيب «وائل» عن الوعي للحظة ثم يهجم على الشيخ «إسلام» بعدها بكل ما أُوتِيَ من قوة ويدفعه للخلف، فقد الشيخ «إسلام» توازنه للحظة ثم عاد وضغط بيديه على كتف «وائل» وهو يقرأ القرآن، وبعدها نزع الحبل من حول رقبته وضربه به ليفتح «وائل» عينيه ليجد أنها بيضاء تماما بدون نني فسأله الشيخ «إسلام»:

- « انت مين وبتعمل كده ليه جاوبني..؟! »

رد عليه «وائل» بزئير فضربه بالحبل على رأسه وسأله مرة أخرى فرد عليه:

- « أنا «برقان»، وهو اللي عمل في نفسه كده مش انا، انا ما أجبرتوش على حاجة..!»

قالها بصوت غير صوت «وائل» فدب الذعر في قلب والدته ولكن الشيخ سأله مرةً أخرى:

- «احكيلي عمل في نفسه إيه..؟!»

فلم يُجِب، فذهب الشيخ إسلام وأتي بكوب ماء تُلِيَ عليه بعض القرآن ثم وضع بعض الماء في يده وسكبه على وجهه ليصرخ بصوت عالي فسأله مرة أخرى:

- « بقولك احكيلي إيه اللي حصل ..؟!»

لم يُجِب وظل يصرخ فقال له الشيخ إسلام:

- « انت عارف كويس اني ممكن احرقك من غير محكمة، وانت عارف ليه، أتكلم وإلا هحرقك حالا..!»

هنا بدأ «وائل» أو «برقان» في التحدث:

- « احنا كنا حاسين بالملل، ولقينا شلة بتلعب لعبة المشنقة مستهترين بأرواحهم، فقررنا نلعب معاهم شوية ونتسلى .....

سأحكي أنا لكم الآن ما حدث ، فقد رأيته رأي العين، وهو تفصيل ما سيختصره هذا ال «برقان» للشيخ إسلام..

في نفس مكان لعبة المشنقة كان هناك خمسة من مراهقي الجان، هم «برقان» و«راشد» و«ميمون» و «مازر» و «عائن»، وكانوا يشعرون بنفس الملل، حين وجدوا وسيلة يُزْجُون بها وقتهم، وقد وجدوا ضالتهم مع «محمد» وشلته، فحين توفى «محمد» في لعبة المشنقة قال لهم مازر:

- « سأتجسد بهيئة «محمد» وأوقع بأصدقائه في براثننا لأفتح لكم أجسادهم لنلهوا بهم بعض الوقت..!»

رد عليه «راشد»:

- «تتجسد، أنت تعلم أن عقوبة التجسد هي الحرق، هل جننت.؟!»

رد عليه «مازر»:

- « أعلم جيداً، ولكن من سيعلم أني تجسدت؟، سنلعب لعبة معهم ثم نعود قبل أن تحدث أي مشاكل، ولكنها وكما قال «محمد» لعبة رجال..!، من معي منكم.!»

ومن هنا بدأ كل شيء، حين سمع الشيخ إسلام هذا الحديث أمره أن يخرج، وتلا عليه بعض العزائم ليقيده بعض الوقت حتى ينتهي من عمله، بعدها سقط «وائل» مغشيًا عليه، سكب الشيخ إسلام الماء على وجهه وصرخ فيه يسأله عن أصدقائه وعن عنوان محمد، وحين أخبره «وائل» (الذي شعر أنه أفاق للتو من غيبوبة دامت لفترة طويلة) بأنه لا يتذكر أي شيء مما حدث طلب منه الشيخ إسلام أن يذهب بهم إلى منزل «محمد»، فاتصل بهم جميعاً ولبوا ندائه عدا «إبراهيم» الذي رد في المرة العاشرة وهو يبكي، فسأله «وائل» عن سبب بكائه فرد عليه:

- « «محمد» مكنش هو اللي معانا طول الفترة اللي فاتت، «محمد» مات من يوم لعبة المشنقة وكلنا هنروح في داهية، بس انا مش فاهم ازاي مات وازاي كان موجود، غالباً ده عفريته وانتقم مننا كلنا ...!»

رد عليه «وائل» بدهشة:

- « ازاي بس فهمني، ده «محمد» كان معانا امبارح، انت شارب حاجة يابني؟ ....

فهم الشيخ «إسلام» ما قاله «إبراهيم» فأخذ منه الهاتف وطلب منه أن يأتي إلى منزل «محمد»، بمجرد أن ذهب الشيخ «إسلام» إلى هناك ودق الباب فتح له «محمد» الباب، وبمجرد أن رآه أصابه الذعر وعاد للوراء خطوتين ليهجم عليه الشيخ «إسلام» ويمسكه لكن «محمد» هرب من بين يديه وهرول إلى لمطبخ وأمسك بسكين وجري به ليقتل الشيخ «إسلام» الذي أمسكه بقوة ووضع السكين في قلبه...

صرخ «محمد» صراخاً مدوياً قبل أن يسقط على الأرض ويختفي تماماً..!

بعدها وصل الأصدقاء الذين فزعوا لرؤيته، فقيدهم بمساعدة «وائل» ووالدته وقام بالقراءة عليهم وإخراج الجن منهم أمام نظرات «إبراهيم» الخاوية، لتعود

والدة «محمد» إلى المنزل في هذا الوقت وتنظر لهذا السيرك الذي يدور في شقتها مندهشة ..

كان الشيخ «إسلام» قد انتهى مما يفعله وأخذ أرقام أهالي الشباب ليتواصل معهم ليستمر في علاجهم وتحصينهم من هؤلاء الجن، ثم أخبر والدة «محمد» بما حدث بالتفصيل لتدخل في موجة بكاء وصريخ حادة جاء على إثرها الجيران ...

تابع «علي» و «وائل» وحتى «مينا» مع الشيخ إسلام بعد ذلك وكانوا يتحسنون من حين لآخر، وظلوا دائما يترددون على منزل والدة «محمد» التي كانت في أسوأ حال يمكن أن تتصورها..

أما عن شلة الجن فكانت تبكي فقدانها ل «مازر» الذي قتله الشيخ «إسلام» وقرروا الانتقام من الشلة التي كانت السبب في فقدانهم صديقهم...

***

(20)

النهاية

فتح «إبراهيم» باب شقة «علي» التي صارت مهجورة، فبعد الحادث عرضها والد «علي» للبيع بشكل جدي وباع كل أثاثها وينتظر أقرب مشتري..

كان يريد أن يفهم ما حدث بالتفصيل، وهل عفريت «محمد» سينتقم منه هو الآخر أم انتهت القصة عند دفنه وإراحة جسده..

وكما يقول الإنجليز دائما..»الفضول قتل القط»

دلف «إبراهيم» إلى الداخل ثم قام بكتاب الأبجدية على أوراق قطعها بحجم أوراق الكوتشينة ثم قام بكتابة الأرقام وكتب على ثلاثة ورقات «نعم»، «لا»، «الوداع»، رصهم على شكل دائرة وفي المنتصف وضع كروت «نعم» ثم «الوداع» ثم «لا»، ثم وضع فوقهم لوح زجاجي، بعدها وضع على اللوح ستة شموع وأشعلهم ووضع في المنتصف كوب وظل يردد..

«Ouija Ouija come toplay»

«Ouija Ouija come toplay»

«Ouija Ouija come toplay»

وفي لحظةٍ ما انطفأت أنوار الشموع واشتعلت من تلقاء نفسها وبعدها تحرك الكوب باتجاه نعم..

«تمت بحمد الله»

في هذا الوقت مع انتهاء حكايتي مع مراهقي الإنس والجن اكتشفت أنه هناك قصة أكثر تشويقا وإثارة من تلك القصة الخاصة «بمحمد» وشلته، كانت قصة صندوق يدعى صندوق بندورا يجمع بداخله كل الشرور التي في الكون على مر التاريخ...

ماذا إذا تم فتح هذا الصندوق مرة أخرى؟!

ولكن هذه حكاية أخرى، ربما أحكيها لك، وربما لن أحكيها على الإطلاق..

info@noonpublishing.net

01127772007 -02-338560372